الكتاب الجامع للفضائل

(٧٤)

متفرقات - ز

الشيخ/ندا أبو أحمد



الكتاب الجامع للفضائل

(متفرقات – ز)

تمهيد

إنَّ الحمدَ لله نحمدُه، ونستعينُه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، مَن يهد اللهُ فلا مضل له، ومَن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ محمدًا عبدُهُ ورسولُه.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ (آل عمران: ١٠٢)

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَاء وَاتَّقُواْ اللّهَ الَّذِي تَسَاءلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ (النساء:١)

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعْ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ (الأحزاب: ٧٠، ٧١)

أما بعد....

فإن أصدق الحديث كتاب الله ـ تعالى ـ، وخير الهدي، هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

نبض الرسالة

١- فضل التواضع:

٢- فضل إماطة الأذى عن الطريق:

أ- إماطة الأذى عن الطريق من شعب الإيمان:

ب- إماطة الأذى عن الطريق من محاسن الأعمال:

جـ- إماطة الأذى عن الطريق سبب للنجاة من النار:

د- إماطة الأذى عن الطريق صدقة يتصدق بها الإنسان على نفسه:

هـ- إماطة الأذى عن الطريق سبيل لتحصيل الحسنات:

و- إماطة الأذى عن الطريق سبب لمغفرة الذنوب:

ز- إماطة الأذى عن الطريق سبيل لدخول الجنة:

٣- فضل من قتل الوزغ (البرص)

٤- فضل الرفق بالحيوان:

أ- رحمة الحيوان والرفق به سبيل لمغفرة الذنوب:

ب- بل رحمة الحيوان والرفق به سبيل لدخول الجنة:

٥- فضل العبد إذا أدى حق الله وحق سيده:

٦- فضل من أعتق رقبة مسلمة

٧- فضل من شاب شيبة في الإسلام:

٨- فضل من رجى الله وأحسن الظن به:

أ- حسن الظنّ بالله تعالى هو عبادة وقربة إلى الله تعالى.

ب- حسن الظن في الله من أسباب الوقاية من عذابه، وسبيل لدخول جنته:

٩- فضل الخوف من الله وخشيته:

أ- الخوف من النار يدفع إلى العمل الصالح والإخلاص فيه:

ب- الخوف سبب للبعد عن المعاصي:

جـ- الخوف سبب لمغفرة الذنوب:

د- الخوف سبيل للانتفاع بكلام الله:

هـ- الخوف سبب الوقاية من عذاب الله:

و- الخوف سبب للنجاة من النار:

١٠- فضل البكاء من خشية الله:

١- فضل التواضع [1]:

- *قال الإمام الجنيد-رحمه الله-:* " التواضع: هو خفض الجناح، ولين الجانب ".

- *وسئل الحسن البصري-رحمه الله-عن التواضع فقال:* " التواضع: أن تخرج من منزلك ولا تلقى مسلمًا إلا رأيت له عليك فضلًا ".

- *وسئل الفضيل بن عياض-رحمه الله- عن التواضع فقال:* " يخضع للحق، وينقاد له ويقبله ممن قاله، ولو سمعه من صبى قبله، ولو سمعه من أجهل الناس قبله ".

أولًا: فضل التواضع من القرآنِ الكريمِ:

١- التواضع صفة من صفات عباد الرحمن:

قال تعالى: ﴿ وَعِبَادُ الرَّحْمَٰنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا ﴾ (الفرقان: ٦٣)

قال ابنُ القَيِّمِ-رحمه الله-: " هَوْنًا: أي: سكينةً ووقارًا، متواضِعين غيرَ أَشِرين ولا مَرِحين ولا متكَبِّرين، قال الحسَنُ: عُلَماءُ حُلَماءُ. وقال محمَّدُ بنُ الحنفيَّةِ: أصحابُ وقارٍ وعفَّةٍ، لا يَسفَهون، وإن سُفِه عليهم حَلَموا. والهَونُ-بالفتحِ- في اللُّغةِ: الرِّفقُ واللِّينُ، والهُونُ- بالضَّمِّ-: الهوانُ؛ فالمفتوحُ منه: صفةُ أهلِ الإيمانِ، والمضمومُ: صِفةُ أهلِ الكُفرانِ، وجزاؤهم من اللَّهِ النِّيرانُ ". (مدارج السالكين:١٠٨/٣).

وقال الشيخ السعدى-رحمه الله-: " ذكر أن صفاتهم أكمل الصفات، ونعوتهم أفضل النعوت، فوصفهم أنهم: ﴿يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا﴾ أي: ساكنين متواضعين لله وللخلق، هذا وصف لهم بالوقار والسكينة، والتواضع لله ولعباده ". (تفسير السعدي ص:٥٨٦)

٢- وقال تعالى مخاطبًا رسولَه، ممتنًّا عليه وعلى المُؤمِنين فيما ألان به قلبَه على أمَّتِه المتَّبعين لأمرِه، التَّاركين لزجرِه، وأطاب لهم لفظَه: ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ ﴾ (آل عمران: ١٥٩).

(تفسير القرآن العظيم لابن كثير:١٤٨/٢).

٣- كما أمره اللَّهُ سُبحانَه وتعالى أن يُلينَ جانبَه للمُؤمِنين، وأن يتواضَعَ لهم، فقال تعالى: ﴿ وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ (الحجر: ٨٨). **وقال تعالى:** ﴿ وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ (الشعراء: ٢١٥)

قال القُرطبيُّ-رحمه الله- في تفسيرِ هذه الآيةِ: " أي: أَلِنْ جانبَك لمن آمن بك، وتواضَعْ لهم ".

(الجامع لأحكام القرآن:٥٦/١٠).

١ـ موسوعة الأخلاق والسلوك- الدرر السنية.

٤- التواضع علامة حب الله للعبد:

أضف لهذا أن اللَّه سُبحانَه وتعالى وصف أصحابَ النَّبيِّ ﷺ بأنَّهم يُظهِرون العطفَ والحُنُوَّ والتَّواضُعَ للمُؤمِنين، ويُظهِرون الشِّدَّةَ والغِلظةَ والتَّرفُّعَ على الكافرين؛ **فقال تعالى:** ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ (المائدة: ٥٤). (فتح القدير للشوكاني:٢/٧٥)

قال ابنُ كثيرٍ-رحمه الله-: " هذه صفاتُ المؤمِنين الكُمَّلِ أن يكونَ أحدُهم متواضعًا لأخيه ووليِّه، متعزِّزًا على خَصمِه وعدوِّه، **كما قال تعالى:** ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾ (الفتح: ٢٩). (تفسير القرآن العظيم:٣/١٣٦).

وقال ابنُ القيِّمِ-رحمه الله-: " لمَّا كان الذُّلُّ منهم ذُلَّ رحمةٍ وعَطفٍ وشَفَقةٍ وإخباتٍ، عدَّاه بأداةِ على؛ تضمينًا لمعاني هذه الأفعالِ، فإنَّه لم يُرِدْ به ذُلَّ الهوانِ الذي صاحبُه ذليلٌ، وإنَّما هو ذلُّ اللِّينِ والانقيادِ الذي صاحبُه ذَلولٌ، فالمُؤمِنُ ذلولٌ ". (مدارج السالكين:٢/٣٢٧).

٥- وقولُه تعالى: ﴿وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾ (الإسراء: ٢٤) حيثُ أمر اللَّهُ بالتَّواضُعِ للوالدَينِ ذُلًّا لهما ورحمةً واحتسابًا للأجرِ. (تيسير الكريم الرحمن لعبد الرحمن السعدي:١/٤٥٦).

٦- وقال سُبحانَه: ﴿تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ (القصص: ٨٣)

قال ابنُ كثيرٍ-رحمه الله-: " يخبِرُ تعالى أنَّ الدَّارَ الآخرةَ ونعيمَها المُقيمَ الذي لا يحولُ ولا يزولُ، جعَلَها لعبادِه المُؤمِنين المتواضِعين لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ، أي: ترفُّعًا على خلقِ اللَّهِ وتعاظمًا عليهم وتجبُّرًا بهم، ولا فسادًا فيهم ". (تفسير القرآن العظيم:٦/٢٥٨).

وقال تعالى: ﴿وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾ (لقمان: ١٨)

وقوله: ﴿وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ﴾ يقول: لا تعرض بوجهك عن الناس إذا كلمتهم أو كلموك، احتقارا منك لهم، واستكبارا عليهم ولكن ألن جانبك، وابسط وجهك إليهم، كما جاء في الحديث: " ولو أن تلقى أخاك ووجهك إليه منبسط، وإياك وإسبال الإزار فإنها من المخيلة، والمخيلة لا يحبها الله".

قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله: ﴿وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ﴾ يقول: لا تتكبر فتحقر عباد الله، وتعرض عنهم بوجهك إذا كلموك. وكذا روى العوفي وعكرمة عنه ". (تفسير ابن كثير)

وقال تعالى: ﴿وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا﴾ (الإسراء:٣٧)

قال السعدي-رحمه الله- في تفسيره: " وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا﴾ أي: كبرًا، وتيهًا، وبطرًا، متكبرًا على الحق ومتعاظما على الخلق. ﴿إِنَّكَ﴾ في فعلك ذلك﴿ لَنْ تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَنْ تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا﴾ في تكبرك، بل تكون حقيرًا عند الله، ومحتقرًا عند الخلق، مبغوضًا ممقوتًا، قد اكتسبت أشر الأخلاق، واكتسيت أرذلها من غير إدراك لبعض ما تروم ". اهـ

ثانياً: فضل التواضع من السُّنَّة النَّبَوِيَّة:

رغَّب الإسلامُ في التَّواضُعِ وحثَّ عليه ابتغاءَ مَرضاتِ اللَّهِ، وأنَّ من تواضَع جازاه اللَّهُ على تواضعِه بالرِّفعةِ، وقد ورَدَت نصوصٌ من السُّنَّةِ النَّبَوِيَّةِ تدُلُّ على ذلك:

١- ما أخرجه الإمام مسلم من حديث أبي هُرَيرَةَ ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: " **ما نقَصَت صَدَقةٌ من مالٍ، وما زاد اللَّهُ عبدًا بعفوٍ إلَّا عِزًّا، وما تواضَعَ أحَدٌ للهِ إلَّا رفعه اللَّهُ** ".

قال القاضي عِياضٌ-رحمه الله- في قوله ﷺ: " **وما تواضَع أحدٌ للهِ إلَّا رفعه اللَّهُ**": فيه وجهانِ: أحدُهما: أنَّ اللَّهَ تعالى يمنحُه الرفعة في الدُّنيا جزاءً على تواضُعِه له، وأنَّ تواضُعَه يُثبِتُ له في القلوبِ محبَّةً ومكانةً وعِزَّةً. والثَّاني: أن يكونَ ذلك ثوابَه في الآخِرةِ على تواضُعِه في الدنيا ".

(إكمال المعلم شرح صحيح مسلم للقاضي عياض:٨/٥٩).

٢- وأخرج الإمام مسلم من حديث عِياضِ بنِ حِمارٍ ﷺ قال: قال رسولُ اللَّهِ ﷺ: " **إنَّ اللَّهَ أوحى إليَّ أن تواضَعوا حتَّى لا يَفخَرَ أحدٌ على أحدٍ، ولا يبغيَ أحدٌ على أحدٍ** ".

يعني: أن يتواضَعَ كُلُّ واحدٍ للآخَرِ، ولا يترفَّعَ عليه، بل يجعَلُه مِثلَه أو يُكرِمُه أكثَرَ، وكان من عادةِ السَّلَفِ رحمهم اللَّهُ: أنَّ الإنسانَ منهم يجعَلُ من هو أصغرُ منه مثلَ ابنِه، ومن هو أكبرُ مثلَ أبيه، ومن هو مثلُه مثلَ أخيه، فينظُرُ إلى من هو أكبرُ منه نظرةَ إكرامٍ وإجلالٍ، وإلى مَن هو دونَه نظرةَ إشفاقٍ ورحمةٍ، وإلى مَن هو مثلُه نظرةَ مساواةٍ، فلا يبغي أحدٌ على أحدٍ، وهذا من الأمورِ التي يجبُ على الإنسانِ أن يتَّصِفَ بها، أي بالتَّواضُعِ للهِ عزَّ وجَلَّ ولإخوانِه من المسلِمين ". (شرح رياض الصالحين لابن عثيمين:٣/٥٢٤).

٣- وأخرج البخاري ومسلم من حديث حارثةَ بنِ وَهبٍ ﷺ أنَّه سمع النَّبيَّ ﷺ يقولُ: " **ألا أخبِرُكم بأهلِ الجنَّةِ؟ قالوا: بلى. قال ﷺ: كُلُّ ضعيفٍ متضعَّفٍ، لو أقسَمَ على اللَّهِ لأبرَّه. ثمَّ قال: ألا أخبِرُكم بأهلِ النَّارِ؟ قالوا: بلى. قال: كُلُّ عُتُلٍ [١] جوَّاظٍ [٢] مُستكبِرٍ** ".

١- عُتُلٍ: هو الجافي الشَّديدُ الخصومة بالباطِلِ، وقيل: الجافي الفَظُّ الغليظُ. يُنظَر: (شرح مسلم للنووي:١٧/١٨٨).
٢- الجوَّاظُ: الجَموعُ المنوعُ، وقيل: كثيرُ اللَّحمِ المختالُ في مِشيتِه، وقيل: القصيرُ البَطِينُ، وقيل: الفاجرُ. يُنظَر: (المصدر السابق).

قال القاضي عِياضٌ–رحمه الله-: " وقولُه في أهلِ الجنَّةِ:" كُلُّ ضعيفٍ متضَعَّفٍ"... هو صفةُ نفيِ الكبرياءِ والجَبَروتِ التي هي صفةُ أهلِ النَّارِ، ومَدحُ التَّواضُعِ والخُمولِ، والتَّذَلُّلِ للهِ عزَّ وجَلَّ، وحَضٌّ عليه". (إكمال المعلم شرح صحيح مسلم للقاضي عياض:٨/٣٨٣).

٤- *وأخرج أبو داود من حديث أبي الدرداء ﷺ عن النَّبيِّ ﷺ قال:* **" ابغوني الضُّعفاءَ، فإنَّما تُرزَقونَ وتُنصَرونَ بضُعفائِكُم ".** (صحيح أبي داود: ٢٥٩٤) (السلسلة الصحيحة: ٧٧٩)

وقوله ﷺ: **" ابْغُوني"** أي: اطْلُبوا لي **" الضُّعفاءَ"**، أي الفُقراءَ ومَنْ لا يُبالي النَّاسُ بِهم لِرَثاثةِ حالِهم وهيئتِهم، وطَلَبُه لهم ﷺ إنَّما يَكونُ بالتَّقرُّبِ إليهم وتَفقُّدِ حالِهم، وحِفْظِ حقوقِهم والإحسانِ إليهم قولًا وفعلًا.

- *وأخرج البخاري من حديث مُصعَبِ بنِ سَعدٍ ﷺ قال:* **رأى سعدٌ ﷺ أنَّ له فضلًا على مَن دونَه، فقال النَّبيُّ ﷺ:" هل تُنصَرون وتُرزَقون إلَّا بضُعَفائِكم؟".**

قال الطِّيبيُّ–رحمه الله– في شرح هذا الحديثِ: " فيه نهيٌ عن مخالطةِ الأغنياءِ، وتحذيرٌ من التَّكبُّرِ على الفقراءِ، والمحافظةُ على جَبرِ خواطِرِهم؛ ولهذا قال لُقمانُ لابنِه: لا تَحقِرَنَّ أحدًا لخُلقانِ ثيابِه؛ فإنَّ ربَّك وربَّه واحدٌ ".

وقال ابنُ معاذٍ–رحمه الله-: " حُبُّك الفقراءَ من أخلاقِ المُرسَلين، وإيثارُك مجالَستَهم من علاماتِ الصَّالحين، وفِرارُك منهم من علاماتِ المُنافِقين ". (فيض القدير للمناوي:١/١٠٩).

٥- *وأخرج الترمذي من حديث أنس بن مالك ﷺ عن النَّبيِّ ﷺ قال:* **" اللَّهمَّ أَحيِني مِسكينًا، وأَمِتْني مِسكينًا، واحشُرْني في زُمرةِ المساكينِ يومَ القيامَةِ، فقالَت عائشةُ: لِمَ يا رسولَ اللهِ؟ قال: إنَّهم يَدخُلون الجنَّةَ قبلَ أغنيائِهم بأربعين خريفًا، يا عَائشةُ، لا تَرُدِّي المِسكينَ ولو بشِقِّ تَمرةٍ، يا عائشةُ، أحِبِّي المساكينَ، وقَرِّبيهم؛ فإنَّ اللهَ يقرِّبُكِ يومَ القيامَةِ ".** (صحيح الترمذي: ٢٣٥٢)

وقوله ﷺ: **" اللَّهمَّ أَحيِني مِسكينًا، وأَمِتْني مِسكينًا، واحشُرْني في زُمرةِ المساكينِ يومَ القيامَةِ ".** تنويها بشرف هذا المقام وفضله. (الخشوع في الصلاة لابن رجب ص:١٠)

قال ابن الأثير–رحمه الله-: " أراد به التواضع والإخبات، وأن لا يكون من الجبارين المتكبرين ".

وقال ابن تيمية–رحمه الله-: " فالمسكين المحمود هو المتواضع الخاشع الله، ليس المراد بالمسكنة عدم المال، بل قد يكون الرجل فقيرًا من المال وهو جبار. فالمسكنة؛ خُلق في النفس، وهو التواضع والخشوع، واللين ضدُّ الكبر، كما قال عيسى –عليه السلام-: **﴿وبرًّا بوالدتي ولم يجعلْني جبَّارًا شقيا﴾** (مريم:٣٢)

(مجموع الفتاوى:١٨/٣٨٢)

٦- *وأخرج البخاري من حديث أبي هُرَيرَةَ ﷺ عن النَّبيِّ ﷺ قال:* " لو دُعِيتُ إلى ذِراعٍ أو كُراعٍ [١] لأجَبْتُ، ولو أهدِيَ إليَّ ذِراعٌ أو كُراعٌ لقبَلتُ ".

قال ابنُ بطَّالٍ-رحمه الله-: " قال المُهلَّبُ: معناه التَّواضُعُ وتركُ التَّكبُّرِ، والاستئلافُ بقَبولِ اليسيرِ والإجابةِ إليه؛ لأنَّ الهَدِيَّةَ تؤكِّدُ المحبَّةَ، وكذلك الدَّعوةُ إلى الطَّعامِ لا تبعَثُ إلى ذلك إلَّا صحَّت محبَّةُ الدَّاعي وسُرورُه بأكلِ المدعوِّ إليه من طعامِه والتَّحبُّبِ إليه بالمؤاكلةِ، وتوكيدِ الذِّمامِ معه بها؛ فلذلك حضَّ النَّبيُّ ﷺ على قَبولِ التَّافِهِ من الهديَّةِ، وإجابةِ النَّذرِ من الطَّعامِ ". (شرح صحيح البخاري لابن بطال:٧/ ٢٩٠).

وقال المظهريُّ-رحمه الله-: " هذا إظهارُ التَّواضُعِ، وتحريضُ النَّاسِ على التَّواضُعِ، وإجابةُ من يدعوهم إلى ضيافةٍ ". (المفاتيح في شرح المصابيح:٢/ ٥٠٩).

٧- *وأخرج الطبراني في الكبير من حديث عبد الله بن عباس وأبي هريرة-رضي الله عنهم- قالا: قال رسول الله ﷺ:* " ما منْ آدميٍّ إلَّا في رأسِهِ حَكَمَةٌ [٢] بيدِ مَلَكٍ، فإذا تواضعَ قيلَ للمَلَكِ: ارفعْ حَكَمتَه، وإذا تكبّرَ قيلَ للملكِ: ضعْ حَكَمتَه ". (صحيح الجامع:٥٦٧٥)

٨- *وأخرج الإمام أحمد والترمذي واللفظ له من حديث معاذ بن أنس الجهني ﷺ عن النَّبيِّ ﷺ قال:* " مَنْ تركَ اللِّباسَ تَوَاضُعًا للهِ، و هو يَقْدِرُ عليهِ، دعاهُ اللهُ يومَ القيامةِ على رؤوسِ الخَلائقِ حتى يُخَيِّرَهُ من أيِّ حُلَلِ الإيمانِ شاءَ يَلْبَسُها ". (السلسلة الصحيحة: ٧١٨)

٩- *وأخرج البخاري من حديث أنس بن مالك ﷺ قال:* " إنْ كَانَتِ الأمَةُ مِن إمَاءِ أهْلِ المَدِينَةِ، لَتَأْخُذُ بيَدِ رَسولِ اللَّهِ ﷺ فَتَنْطَلِقُ به حَيْثُ شَاءَتْ ".

- *وعند ابن ماجه بلفظ:* " إن كانتِ الأَمةُ من أَهلِ المدينةِ لتأخذُ بيدِ رسولِ اللَّهِ ﷺ فما ينزِعُ يدَهُ من يدِها حتَّى تذْهبَ بِهِ حيثُ شاءَت منَ المدينةِ في حاجَتِها ". (صحيح ابن ماجه: ٣٣٨٦)

وفي هذا الحَديثِ عَظيمُ تَواضُعِ النَّبيِّ ﷺ، وبَراءتُه مِن جَميعِ أنواعِ الكِبْرِ. حيث يقول أنسُ بنُ مالكٍ ﷺ: أنَّ الأَمَةَ -وهي غَيرُ الحُرَّةِ- مِن إماءِ أهلِ المدينة، كانت لَتأخذُ بيَدِ رَسولِ اللهِ ﷺ، فتَنطلِقُ به حيث شاءَتْ مِن الأمكنة، ولو كانت حاجتُها خارجَ المدينةِ. والمقصودُ من الأخذِ بيدِه لازِمُه، وهو الرِّفقُ والانقيادُ، يعني: كان خُلُقُ رَسولِ الله ﷺ بهذه المرتبةِ مِنَ الرِّفعةِ والتواضُعِ، وأنه لو كان لأَمَةٍ حاجةٌ في بعض مواضِعِ المدينةِ، وتلتَمِسُ منه مساعدتَها في تلك الحاجةِ، واحتاج بأن يمشِيَ معها لقضائِها؛ لما تخَلَّفَ عن ذلك حتى يقضِيَ حاجَتَها.

١- الكُراعُ من الدَّابَّةِ: ما دونَ الكعب. (فتح الباري لابن حجر:٥/ ١٩٩).
٢- الحَكَمَة: الحديدة في اللجام تكون على أنف الفرس وحَنَكِه؛ تمنعه عن مخالفة راكبه.

وأخرج النسائي وابن ماجه من حديث ثوبان رضي الله عنه مولى رسول الله ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: " من فارقَ الرُّوحُ الجسدَ وَهوَ بريءٌ من ثلاثٍ، دخلَ الجنَّةَ: منَ الْكِبرِ، والغُلولِ، والدَّينِ ". (صحيح ابن ماجه: ١٩٧١)

- *في رواية:* " مَن فارقَ الرُّوحُ جسدَه وهوَ بريءٌ من ثلاثٍ: من الكِبرِ، والدَّيْنِ، والغُلولِ؛ وجبَتْ لهُ الجنَّةُ، أو قال: لهُ الجنَّةُ ". (صحيح الترغيب والترهيب: ١٣٥١)

ثالثًا: فضل التواضع من أقوالِ السَّلَفِ والعُلَماءِ:

١- *أخرج الإمام أحمد عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال:* " يقول الله تبارك وتعالى: من تواضع لي هكذا- وجعل يزيد باطن كفه إلى الأرض وأدناها- رفعته هكذا - وجعل باطن كفيه إلى السماء ورفعهما نحو السماء ". (صحيح الترغيب والترغيب: ٢٨٩٤)

٢- *قالت عائشةَ -رَضِيَ اللَّهُ عنها-:* " إنَّكم لتُغفِلون أفضَلَ العبادةِ: التَّواضُعَ ".
(رواه ابنُ المبارك في الزهد: ٣٩٣) (ابن أبي الدنيا في التواضع والخمول: ٨٠) (أبو داود في الزهد: ٢٨٦)

٣- *وقال مُعاذُ بنُ جَبَلٍ رضي الله عنه:* " لا يَبلُغُ عبدٌ ذُرى[١] الإيمانِ حتَّى يكونَ التَّواضُعُ أحَبَّ إليه من الشَّرَفِ، وما قَلَّ من الدُّنيا أحَبَّ إليه ممَّا كثُرَ، ويكونَ من أحَبَّ وأبغضَ في الحَقِّ سواءً، يحكُمُ للنَّاسِ كما يحكُمُ لنفسِه وأهلِ بيتِه ". (رواه ابنُ المبارك في الزهد: ٢/٥٢).

٤- *وقال ابنِ مسعودٍ رضي الله عنه:* " مَن يُرائي؛ يُرائي اللَّهُ به، ومَن يُسَمِّعْ؛ يُسَمِّعِ اللَّهُ به، ومن تطاوَلَ تعظمًا؛ خَفَضَه اللَّهُ، ومن تواضَعَ تخشُّعًا؛ رفَعَه اللَّهُ ". (المصدر السابق: ٢/ ١٨).

٥- *وقال عُروةُ بنُ الزُّبَيرِ -رَضِيَ اللهُ عنهما-:* " التَّواضُعُ أحدُ مَصايدِ الشَّرَفِ. وكُلُّ ذي نعمةٍ محسودٌ عليها إلَّا التَّواضُعَ ". (تنبيه الغافلين للسمرقندي ص: ١٨٥).

٦- *وقال قَتادةُ -رحمه الله-:* " مَن أُعطِيَ مالًا أو جَمالًا وثيابًا وعِلمًا، ثمَّ لم يتواضَعْ، كان عليه وَبالًا يومَ القيامةِ ". (رواه ابنُ أبي الدنيا في التواضع والخمول: ٩٠).

٧- *وقال يحيى بنُ الحكَمِ بنِ أبي العاصِ لعبدِ المَلِكِ:* " أيُّ الرِّجالِ أفضَلُ؟ قال: من تواضَعَ عن رفعةٍ، وزَهِدَ على قُدرةٍ، وترَكَ النُّصرةَ على قَومِه ". (رواه ابنُ أبي الدنيا في التواضع والخمول: ٩٤).

٨- *وقال إبراهيمُ بنُ شَيبانَ -رحمه الله-:* " الشَّرَفُ في التَّواضُعِ، والعِزُّ في التَّقوى، والحريَّةُ في القناعةِ ".
(الرسالة القشيرية للقشيري: ١/ ٢٧٩)

١- ذُرى الشَّيءِ: أعاليه. (الصحاح للجوهري: ٦/ ٢٣٤٥).

٩- ***وقال يحيى بنُ أبي كثيرٍ-رحمه الله-:*** " أفضَلُ الأعمالِ الوَرَعُ، وأفضلُ العبادةِ التَّواضُعُ ".
(حلية الأولياء لأبي نعيم:٣/ ٦٨)

١٠- ***وقال عبدُ اللَّهِ بنُ المعتَزِّ-رحمه الله-:*** " التَّواضُعُ سُلَّمُ الشَّرَفِ ".
(الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع للخطيب البغدادي:١/ ٣٥١)

١١- ***وقال الفُضَيلُ بنُ عِياضٍ:*** " إنَّ اللَّهَ تعالى يحبُّ العالِمَ المتواضِعَ، ويُبغِضُ العالمَ الجبَّارَ، ومن تواضَعَ للهِ ورَّثه اللَّهُ الحِكمةَ ". **(الفقيه والمتفقه للخطيب البغدادي:٢/ ٢٣٠) (تاريخ دمشق لابن عساكر:٤٨/ ٤١٧).**

١٢- ***وقال عَونِ بنِ عبدِ اللَّهِ-رحمه الله-:*** " مَن كان في صورةٍ حَسَنةٍ، أو في موضِعٍ لا يَشينُه، ووُسِّع عليه من الرِّزقِ، ثمَّ تواضَعَ للهِ؛ كان من خاصَّةِ اللَّهِ ". **(حلية الأولياء لأبي نعيم:٤/ ٢٤٩).**

١٣- ***وقال ذو النُّونِ المصريُّ-رحمه الله-:*** " علامةُ السَّعادةِ ثلاثٌ: متى ما زِيدَ في عُمُرِه نَقَص مِن حِرصِه، ومتى زِيدَ في مالِه زِيدَ في سخائِه، ومتى زِيدَ في قَدرِه زِيدَ في تواضُعِه. وعلامةُ الشَّقاءِ ثلاثٌ: متى ما زِيدَ في عُمُرِه زِيدَ في حرصِه، ومتى ما زِيدَ في مالِه زِيدَ في بخلِه، ومتى ما زِيدَ في قَدرِه زِيدَ في تجبُّرِه وقَهرِه وتكَبُّرِه ". **(لباب الآداب لأسامة بن منقذ:١/ ٢٥٥).**

١٤- ***وقال ابنُ الحاجِّ-رحمه الله-:*** " من أراد الرِّفعةَ فليتواضَعْ للهِ تعالى؛ فإنَّ العِزَّةَ لا تقعُ إلَّا بقَدرِ النُّزولِ؛ ألا ترى أنَّ الماءَ لمَّا نزَل إلى أصلِ الشَّجَرةِ صَعِد إلى أعلاها، فكأنَّ سائلًا سأله: ما صَعِد بك هاهنا- أعني في رأسِ الشَّجَرةِ- وأنت قد نزَلْتَ تحتَ أصلِها؟ فكأنَّ لسانَ حالِه يقولُ: من تواضَعَ للهِ رفَعَه اللَّهُ ". **(المدخل:٢/ ١٢٠).**

١٥- ***وقال ابنُ القَيِّمِ-رحمه الله-:*** " من علاماتِ السَّعادةِ والفلاحِ أنَّ العبدَ كُلَّما زِيدَ في عِلمِه زِيدَ في تواضُعِه ورحمتِه، وكلَّما زِيدَ في عَمَلِه زِيدَ في خوفِه وحَذَرِه، وكلَّما زِيدَ في عُمُرِه نَقَص من حرصِه، وكلَّما زِيدَ في مالِه زِيدَ في سخائِه وبَذلِه، وكلَّما زِيدَ في قَدْرِه وجاهِه زِيدَ في قُربِه من النَّاسِ وقضاءِ حوائِجِهم والتَّواضُعِ لهم. وعلاماتُ الشَّقاوةِ أنَّه كلَّما زِيدَ في عِلمِه زِيدَ في كِبرِه وتِيهِه، وكلَّما زِيدَ في عَمَلِه زِيدَ في فَخرِه واحتقارِه للنَّاسِ وحُسنِ ظَنِّه بنفسِه، وكلَّما زِيدَ في عُمُرِه زِيدَ في حِرصِه، وكلَّما زِيدَ في مالِه زِيدَ في بخلِه وإمساكِه، وكلَّما زِيدَ في قَدرِه وجاهِه زِيدَ في كِبرِه وتِيهِه. وهذه الأمورُ ابتلاءٌ من اللَّهِ وامتحانٌ يبتلي بها عبادَه فيَسعَدُ بها أقوامٌ ويشقى بها أقوامٌ ". **(الفوائد ص: ١٥٥).**

ومن فوائدُ وفضائل التَّواضُعِ كذلك:

١- أنَّ التَّواضُعَ يرفعُ المرءَ قدرًا ويُعظِمُ له خطرًا ويزيدُه نُبلًا. (روضة العقلاء لابن حبان البستي ص: ٦١).

٢- ***لمَّا احتُضر ذو الإصبَعِ العدوانيُّ دعا ابنَه أُسيدًا فقال له:*** " يا بُنَيَّ! إنِّي موصيك بما إن حفِظتَه بلَغتَ في قومِك ما بلَغْتَه؛ فاحفَظْ عني: أَلِنْ جانبَك لقومِك يحبُّوك، وتواضَعْ لهم يرفَعوك ".
(الأغاني للأصفهاني:٣/ ٦٩)

٣- التَّواضُعُ يؤدِّي إلى الخُضوعِ للحَقِّ والانقيادِ له. (الأخلاق الإسلامية لحسن المرسي ص: ٢٠٩ بتصرف).

٤- التَّواضُعُ هو عينُ العِزِّ؛ لأنَّه طاعةٌ لله ورُجوعٌ إلى الصَّوابِ. (المصدر السابق)

٥- يكفي المتواضِعَ محبَّةُ عبادِ اللَّهِ له، ورَفْعُ اللَّهِ إيَّاه. (المصدر السابق)

٦- ***قال بعضُ الحُكَماءِ:*** " ثمرةُ القناعةِ الرَّاحةُ، وثمرةُ التَّواضُعِ المحبَّةُ ". (تنبيه الغافلين للسمرقندي ص: ١٨٥)

٧- التَّواضُعُ فيه مصلحةُ الدِّينِ والدُّنيا، ويزيلُ الشَّحناءَ بَيْنَ النَّاسِ، ويريحُ مِن تَعَبِ المباهاةِ والمفاخرةِ.
(فتح الباري لابن حجر:١١/ ٣٤١ بتصرف)

٨- التَّواضُعُ يَكسِبُ السَّلامةَ، ويورِثُ الأُلفةَ، ويرفَعُ الحِقدَ، ويُذهِبُ الصَّدَّ.
(روضة العقلاء لابن حبان البستي ص: ٦١)

٩- تواضُعُ الشَّريفِ يزيدُ في شَرَفِه، كما أنَّ تكَبُّرَ الوضيعِ يزيدُ في ضَعَتِه. (المصدر السابق).

١٠- التَّواضُعُ يُؤلِّفُ القلوبَ، ويفتحُ مغاليقَها، ويجعَلُ صاحِبَه جليلَ القدرِ، رفيعَ المكانةِ.

١١- في التَّواضُعِ دَفعُ إضرارِ التَّكَبُّرِ والتَّجبُّرِ؛ إذ لا تحتَمِلُه القلوبُ، ولا تصبرُ عليه النُّفوسُ، ولا يزدادُ صاحِبُه إلَّا مقتًا من اللَّهِ ومن عبادِه. (شجرة المعارف والأحوال للعز بن عبد السلام ص: ٩٤)

قال السهيلي:

تواضع إذا كنت تبغى العُلا ... وكن راسيًا عند صفو الغضب

فخفض الفتى نفسه رفعة ... له واعتبر برسوب الذهب

وقال آخر:

تواضع تكن كالنجم لاح[1] لناظر ... على صفحات الماء، وهو رفيع

ولا تك كالدخان يعلو بنفسه ... إلى طبقات الجو وهو وضيع

١- لاح: أي برز وظهر.

٢- فضل إماطة الأذى عن الطريق:

أ- إماطة الأذى عن الطريق من شعب الإيمان:

أخرج الإمام مسلم من حديث أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: " الإيمانُ بضْعٌ[١] وسَبْعُونَ، أوْ بضْعٌ وسِتُّونَ، شُعْبَةً[٢]، فأفْضَلُها[٣] قَوْلُ لا إلَهَ إلَّا اللَّهُ، وأَدْناها[٤] إماطَةُ الأذَى عَنِ الطَّرِيقِ، والْحَياءُ شُعْبَةٌ مِنَ الإيمانِ ".

ب- إماطة الأذى عن الطريق من محاسن الأعمال:

وأخرج الإمام مسلم من حديث أبي ذر الغفاري ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:"عُرِضَتْ عَلَيَّ أعْمالُ أُمَّتي حَسَنُها وسَيِّئُها، فَوَجَدْتُ في مَحاسِنِ أعْمالِها الأذَى يُماطُ عَنِ الطَّرِيقِ، ووَجَدْتُ في مَساوِي أعْمالِها النُّخاعَةَ تَكُونُ في المَسْجِدِ، لا تُدْفَنُ.

جـ- إماطة الأذى عن الطريق سبب للنجاة من النار:

وأخرج الإمام مسلم من حديث عائشة –رضي الله عنها– قالت: قال رسول الله ﷺ: " إنَّه خُلِقَ كُلُّ إنْسانٍ مِن بَنِي آدَمَ علَى سِتِّينَ وثَلاثِ مِائَةِ مَفْصِلٍ[٥]، فمَن كَبَّرَ اللَّهَ، وحَمِدَ اللَّهَ، وهَلَّلَ اللَّهَ، وسَبَّحَ اللَّهَ، واسْتَغْفَرَ اللَّهَ، وعَزَلَ حَجَرًا عن طَرِيقِ النَّاسِ[٦]، أوْ شَوْكَةً، أوْ عَظْمًا عن طَرِيقِ النَّاسِ، وأَمَرَ بمَعروفٍ، أوْ نَهَى عن مُنْكَرٍ، عَدَدَ تِلكَ السِّتِّينَ والثَّلاثِ مِائَةِ السُّلامَى – فإنَّه يَمْشِي يَومَئذٍ وقدْ زَحْزَحَ نَفْسَهُ عَنِ النَّارِ.

– وعند مُسلِمٍ من حَديثِ أبي ذَرٍّ رَضيَ اللهُ عنه قال: قال رسول الله ﷺ:"... ويُجزِئُ مِن ذلك رَكعَتانِ يَركَعُهما مِنَ الضُّحى[٧]".

د- إماطة الأذى عن الطريق صدقة يتصدق بها الإنسان على نفسه:

أخرج البخاري من حديث أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: " كُلُّ سُلامَى[٨] مِنَ النَّاسِ عليه صَدَقَةٌ، كُلَّ يَومٍ تَطْلُعُ فيه الشَّمْسُ، يَعْدِلُ بيْنَ الاثْنَيْنِ صَدَقَةٌ، ويُعِينُ الرَّجُلَ علَى دابَّتِهِ فيَحْمِلُ عليها، أوْ يَرْفَعُ عليها مَتاعَهُ صَدَقَةٌ، والكَلِمَةُ الطَّيِّبَةُ صَدَقَةٌ، وكُلُّ خُطْوَةٍ يَخْطُوها إلى الصَّلاةِ صَدَقَةٌ، ويُمِيطُ الأذَى عَنِ الطَّرِيقِ صَدَقَةٌ.

١- البضع: بكسر فسكون: من الثلاثة إلى التسع.
٢- شعبة: بضم فسكون: الطائفة من الشيء والقطعة منه.
٣- فأفضلها: أي أرفعها وأعظمها شأنًا.
٤- أدناها: أي أقلها شأنًا.
٥- المَفْصِلُ: هوَ مُلتَقى كلِّ عَظمَينِ في البَدَنِ، وهذا ممَّا يَنبَغي الشُّكرُ عليهِ.
٦- عَزَلَ حَجَرًا عن طَرِيقِ النَّاسِ: أو ما في حكمه من كل ما يؤذي المارة، كالشوك كما ذُكر في الحديث، أو العظم، أو النجاسة...إلخ
٧- ويُجزِئُ مِن ذلك رَكعَتانِ يَركَعُهما مِنَ الضُّحى: أي يَكْفي مِمَّا وَجَبَ على المفاصِلِ مِنَ الصَّدَقاتِ صَلاةُ الضُّحَى، رَكعَتانِ؛ لأنَّ الصَّلاةَ عَمَلٌ بجَميعِ أعضاءِ البَدَنِ، وتَشمَلُ جَميعَ ما ذُكِرَ مِنَ الصَّدَقاتِ وغَيرِها.
٨- السُّلامَى: هي المَفاصِلُ.

وأخرج الإمامأحمد وأبو داود من حديث بريدة بن الحصيب الأسلمي ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: " في الإنسانِ ثلاثمائة وستون مِفْصَلًا فعليه أن يَتَصَدَّقَ عن كلِّ مِفْصَلٍ منه بصدقةٍ. قالوا: ومَن يُطِيق ذلك يا نبيَّ اللهِ؟! قال: النُّخاعةَ في المسجدِ تَدْفِنُها، والشيءَ تُنَحِّيه عن الطريقِ، فإن لم تَجِدْ فركعتا الضحى تُجْزِئُك ". (صحيح أبي داود: ٥٢٤٢)

وأخرج الطبراني في الكبير من حديث عبد الله بن عباس -رضِي الله عنهما- قال: قال رسول الله ﷺ: " في ابنِ آدمَ سِتونَ وثلاثُمِائَةِ سُلامَى أوْ عَظْمٍ أوْ مَفْصِلٍ، على كلِّ واحِدٍ في كلِّ يَوْمٍ صدقةٌ، كلُّ كَلِمَةٍ طيبةٍ صدقةٌ، وعَوْنُ الرجُلِ أخاهُ صدقةٌ، والشَّرْبَةُ مِنَ الماءِ يَسْقِيها صدقةٌ، وإِماطَةُ الأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ صَدَقَةٌ ". (السلسلة الصحيحة: ٥٧٦) (صحيح الجامع:٤٢)

وأخرج الإمام أحمد والنسائي من حديث أبي ذر الغفاري ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:"على كلِّ نفسٍ في كلِّ يومٍ طلعتْ عليه الشمسُ صدقةٌ منهُ على نفسِه، من أبوابِ الصدقةِ: التَّكبيرُ، وسبحانَ اللهِ، والحمدُ للهِ، ولا إلهَ إلَّا اللهُ، وأستغفرُ اللهَ، ويأمُرُ بالمعروفِ، وينْهى عنِ المنكَرِ، ويَعزِلُ الشَّوكَ عن طريقِ الناسِ، والعظْمَ والحجَرَ، وتَهدِي الأعْمَى، وتُسمِعُ الأصَمَّ والأبْكمَ حتى يَفقَهَ، وتُدِلُّ المستدِلَّ على حاجةٍ لهُ قدْ علِمتَ مكانَها، وتَسعَى بشدَّةِ ساقَيْكَ إلى اللَّهْفَانِ المستغيثِ، وترفعُ بشدَّةِ ذِراعيْكَ مع الضعيفِ، كلُّ ذلكَ من أبوابِ الصدَقةِ مِنْكَ على نفسِكَ، ولكَ في جِماعِكَ زوجتَكَ أجرٌ، أرأيتَ لوْ كان لكَ ولَدٌ فأدرَكَ ورجوْتَ أجْرَهُ فماتَ أكُنتَ تحتَسِبُ بهِ؟ فأنتَ خلقْتَهُ، فأنتَ هديْتَهُ فأنتَ كُنتَ ترزُقُهُ؟ فكذلكَ فضعْهُ في حلالِهِ، وجَنِّبْهُ حرامَهُ، فإنْ شاءَ اللهُ أحْياهُ، وإنْ شاءَ أماتَهُ، ولكَ أجرٌ ". (صحيح الجامع: ٤٠٣٨)

- *وفي رواية عند ابن حبان بلفظ:*" ليس مِن نفسِ ابنِ آدَمَ إلَّا عليها صدقةٌ في كلِّ يومٍ طلَعَت فيه الشَّمسُ قيل: يا رسولَ اللهِ ومِن أينَ لنا صدقةٌ نتصدَّقُ بها؟ فقال: إنَّ أبوابَ الخيرِ لكثيرةٌ: التَّسبيحُ والتَّحميدُ والتَّكبيرُ والتَّهليلُ والأمرُ بالمعروفِ والنَّهيُ عنِ المنكَرِ وتُميطُ الأذى عن الطَّريقِ وتُسمِعُ الأصَمَّ وتَهدي الأعمى وتدُلُّ المستدِلَّ على حاجتِه وتسعى بشدَّةِ ساقَيْكَ مع اللَّهفانِ المستغيثِ وتحمِلُ بشدَّةِ ذراعَيْكَ مع الضَّعيفِ فهذا كلُّه صدقةٌ منك على نفسِك ". (صحيح ابن حبان: ٣٣٧٧)

وأخرج البيهقي من حديث معقل بن يسار ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:" وتبسمك في وجه أخيك صدقة، وإماطتك الحجر والشوكة والعظم من طريق الناس صدقة، وهديك الرجل في أرض الضالة لك صدقة ".

هـ- إماطة الأذى عن الطريق سبيل لتحصيل الحسنات:

وأخرج البخاري في" الأدب المفرد" والطبراني واللفظ له من حديث معقل بن يسار ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:" مَنْ أماط أذىً عن طريقِ المسلمينَ، كُتِبَ لَهُ حسنةٌ، ومَنْ تُقُبِّلَتْ منهُ حسنةٌ دخل الجنةَ ".

(صحيح الجامع: ٦٠٩٨)

و- إماطة الأذى عن الطريق سبب لمغفرة الذنوب:

وأخرج البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: " بيْنَما رَجُلٌ يَمْشِي بطَرِيقٍ وجَدَ غُصْنَ شَوْكٍ علَى الطَّرِيقِ فأخَّرَهُ، فَشَكَرَ اللَّهُ له فَغَفَرَ له.

ز- إماطة الأذى عن الطريق سبيل لدخول الجنة:

وأخرج البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:"مَرَّ رجلٌ بغُصْنِ شجرةٍ على ظَهْرِ طريقٍ، فقال: واللهِ لأُنَحِّيَنَّ هذا عن المسلمينَ، لا يُؤْذِيهِم، فأُدْخِلَ الجنةَ ". (صحيح الجامع: ٥٨٦٣)

وأخرج الإمام مسلم من حديث أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:" لقَدْ رَأَيْتُ رَجُلًا يَتَقَلَّبُ في الجَنَّةِ، في شَجَرَةٍ قَطَعَها مِن ظَهْرِ الطَّرِيقِ، كانَتْ تُؤْذِي النَّاسَ ".

وأخرج أبو داود وابن حبان من حديث أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:" نَزَعَ رجلٌ لم يعملْ خيرًا قَطُّ غُصْنَ شَوْكٍ عنِ الطَّرِيقِ إمَّا قال كان في شجرةٍ فقطَعَه فألْقاهُ وإمَّا كان موضُوعًا فأمَاطَه فشكَرَ اللهُ ذلِكَ له فأدخلَه الجنةَ ". (صحيح الترغيب والترهيب: ٢٩٧٦)

فأخبَرَ النبيُّ ﷺ في هذا الحديث عن رجُلٍ كان يَسيرُ في الطَّريقِ فوَجَدَ غُصنَ شَوكٍ يُؤذِي الناسَ، سواءٌ أكان هذا الغُصنُ في الشَّجرةِ مِن فوقَ يُؤذِيهم مِن عندِ رُؤوسِهم، أو مِن أسْفَلَ يُؤذِيهم مِن جِهةِ أرْجُلِهم، فأزالَهُ لِيَكُفَّ أذاهُ عنهم، فتَقبَّلُ اللهُ منه وأثْنى عليه، فكان جَزاؤه أنْ غَفَرَ له ذُنوبَه على إزالتِه الشَّوكَ مِن الطَّريقِ. (الدرر السنية)

وأخرج الإمام أحمد من حديث أنس بن مالك ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:" كانت شجرةٌ تؤذي الناسَ فأتاها رجلٌ فعزلها عن طريقِ الناسِ قال: قال نبيُّ اللهِ ﷺ: فلقد رأيتُه يتقلبُ في ظلِّها في الجنَّة.

٣- فضل من قتل الوزغ (البرص)

بداية لابد أن نعلم أن النبي ﷺ أمرنا بقتل الوزغ وسماه فويسقا.

ففي الحديث الذي أخرجه ابن حبان من حديث سعد بن أبي وقاص ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:" أمَرَ رسولُ اللهِ ﷺ بقتلِ الوزَغِ[١] وسمَّاه فُوَيْسِقًا ". (صحيح ابن حبان: ٥٦٣٥)

وأخرج الإمام مسلم من حديث أم شريك –رضي الله عنها– أنَّ النبيَّ ﷺ أَمَرَهَا بقَتْلِ الأوْزَاغِ.

– *وفي حَديثِ ابْنِ أَبِي شيبَةَ:*" أَمَرَ النبيَّ ﷺ أَمَرَهَا بقَتْلِ الأوْزَاغِ ".

١- الوَزَغ: هو دَابَّةٌ صَغيرةٌ من الزَّواحِفِ تَتسلَّقُ الجُدرانَ تُشبِهُ التِّمساحَ في الشَّكلِ، وله في كُلِّ بلدٍ اسمٌ يُطلِقُه العامَّةُ عليه. فيُسمَّى في بعض البلاد: سَامَّ أَبْرَصَ، ويُعرَفُ بِالبُرْصِ أيضًا. ويقال: إنَّها سامَّةٌ

وأخرج البخاري من حديث أم شريك -رضي الله عنها- أنَّ رَسولَ اللَّهِ ﷺ أمَرَ بقَتْلِ الوَزَغِ، وقالَ: كانَ يَنْفُخُ علَى إبْرَاهِيمَ عليه السَّلَامُ[1] ".

وأخرج ابن ماجه من حديث سَائِبةُ مولاةُ الفاكهِ بنِ المُغيرةِ أنَّها دخَلَت على عائشةَ -رضي الله عنها-، فرأَتْ في بيتِها رُمحًا موضوعًا[2]، فقالت: يا أمَّ المؤمنينَ، ما تصنعينَ بهذا؟ قالت: نقتُلُ به هذه الأوزاغ؛ فإنَّ نَبيَّ اللهِ ﷺ أخْبَرَنا: أن إبراهيم لما ألقي في النار لم تكن في الأرض دابة إلا أطفأت النار غير الوزغ فإنها كانت تنفخ عليه فأمر رسول الله ﷺ بقتله ". (صحيح ابن ماجه: ٢٦٣٤)

٤- فضل الرفق بالحيوان:

أ- رحمة الحيوان والرفق به سبيل لمغفرة الذنوب:

فكما أن تعذيب الحيوان سبيل لدخول النار، كحال هذه المرأة التي دخلت النار في هِرَّة، لا هي أطعمتها، ولا هي تركتها تأكل من خشاش الأرض، فكذلك الرفق بالحيوان سبيل لمغفرة الذنوب.

أخرج البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: " غُفِرَ لِامْرَأَةٍ مُومِسَةٍ[3]، مَرَّتْ بكَلْبٍ علَى رَأْسِ رَكِيٍّ[4] يَلْهَثُ[5]، قالَ: كَادَ يَقْتُلُهُ العَطَشُ، فَنَزَعَتْ خُفَّهَا[6]، فأوْثَقَتْهُ بخِمَارِهَا، فَنَزَعَتْ له مِنَ المَاءِ، فَغُفِرَ لَهَا بذلكَ ".

أخرج البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: " بيْنما كلْبٌ يُطِيفُ برَكِيَّةٍ كادَ يقتُلُهُ العطَشُ، إذْ رأتْهُ بغِيٌّ من بَغايَا بنِي إسرائِيلَ، فنَزَعَتْ مُوقَها فاسْتَقَتْ لهُ بهِ، فغُفِرَ لَهَا ".

(صحيح الجامع: ٢٨٧٦)

ب- بل رحمة الحيوان والرفق به سبيل لدخول الجنة:

أخرج البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: " بَيْنَا رَجُلٌ يَمْشِي، فاشْتَدَّ عليه العَطَشُ، فَنَزَلَ بئْرًا، فَشَرِبَ مِنْهَا، ثُمَّ خَرَجَ فإذا هو بكَلْبٍ يَلْهَثُ يَأْكُلُ الثَّرَى مِنَ العَطَشِ، فَقالَ: لقَدْ بَلَغَ هذا مِثْلُ الذي بَلَغَ بي، فَمَلَأَ خُفَّهُ، ثُمَّ أمْسَكَهُ بفِيهِ، ثُمَّ رَقِيَ، فَسَقَى الكَلْبَ، فَشَكَرَ اللَّهُ له، فَغَفَرَ له،- *وفي روايةٍ لِلبُخاريِّ:* " فأدْخَلَه الجنَّةَ". قالوا: يا رَسولَ اللَّهِ! وإنَّ لنا في البَهائِمِ أجْرًا؟ قالَ: " في كُلِّ كَبِدٍ رَطْبَةٍ أجْرٌ ".

١- وقوله ﷺ: كان يَنفُخُ على إبراهيمَ عليه السَّلامُ: فالنَبيُّ ﷺ أخْبَرنا أن نَبيَّ اللهِ إبْراهيمَ عليه السَّلامُ لمَّا أُلْقِيَ في النَّارِ، لم تَكُنْ في الأَرْضِ دابَّةٌ، إلَّا أَطْفَأَتِ النَّارَ، أي: تُساعِدُ في إطْفاءِ النَّارِ التي ألْقاه قَومُه فيها، غَيْرَ الوَزَغِ، فَإِنَّها كانَتْ تَنْفُخُ عَليه، أي: تَزيدُ من اشْتِعالِ النَّارِ، فهذا بَيانٌ لخُبْثِ هذا النَّوعِ منَ الدَّوابِّ وفَسادِه، وأنَّه بَلَغَ في ذلك مَبلغًا استعمَلَه الشَّيطانُ، فحَمَلَه على أنْ يَنفُخَ في النَّارِ الَّتي أُلْقِيَ فيها خَليلُ اللهِ صَلواتُ اللهِ عليه، وسعَى في اشتِعالِها، فَأمَرَ رَسولُ اللهِ ﷺ بِقتْلِه"، أي: لاعْتِدائها على نَبيِّ اللهِ تعالى.

٢- رُمحًا مَوضوعًا: والرُّمحُ عصًا في نِهايَتِها حَديدةٌ، وهو أَداةٌ من أدَواتِ الحرب.

٣- المُومِسة: وهي المرأةُ الزَّانيةُ المجاهِرةُ بالفُجورِ.

٤- على رَأسِ ركِيٍّ: أي: بِئرٍ.

٥- يَلهَثُ: فيُخرِجُ لِسانَه مِنَ العَطَشِ يَكادُ يَموتُ منه.

٦- الخُفُّ: ما يُلبَسُ في الرِّجلَينِ مِن جِلدٍ رَقيقٍ.

٥- فضل العبد إذا أدى حق الله وحق سيده:

أخرج البخاري ومسلم من حديث أبي موسى الأشعري ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: " ثَلَاثَةٌ لهمْ أجْرَانِ: رَجُلٌ مِن أهْلِ الكِتَابِ، آمَنَ بنَبِيِّهِ وآمَنَ بمُحَمَّدٍ ﷺ، والعَبْدُ المَمْلُوكُ إذَا أدَّى حَقَّ اللَّهِ وحَقَّ مَوَالِيهِ، ورَجُلٌ كَانَتْ عِنْدَهُ أمَةٌ فأدَّبَهَا فأحْسَنَ تَأْدِيبَهَا، وعَلَّمَهَا فأحْسَنَ تَعْلِيمَهَا، ثُمَّ أعْتَقَهَا فَتَزَوَّجَهَا فَلَهُ أجْرَانِ، ثُمَّ قَالَ عَامِرٌ: أعْطَيْنَاكَهَا بغيرِ شيءٍ، قدْ كانَ يُرْكَبُ فِيما دُونَهَا إلى المَدِينَةِ.

وفي هذا الحَديثِ يُبيِّنُ النبيُّ ﷺ أنَّ ثَلاثةَ أصنافٍ مِن الناسِ يُضاعَفُ لهم الأجرُ مرَّتينِ؛ **الأوَّلُ:** رجُلٌ مِن أهلِ الكتابِ؛ اليهودِ والنَّصارَى، آمَن بنَبيِّه الَّذي أُرسِلَ إليه سابقًا، وهو مُوسى أو عِيسى عليهما الصَّلاةُ والسَّلامُ، وآمَن بمحمَّدٍ عندما بلَغَتْه دَعوتُه؛ فله أجْرانِ: أجرٌ على إيمانِه بمُوسى أو عِيسى، وأجرٌ على إيمانِه بمُحمَّدٍ ﷺ، فإذا أسلَمَ وحسُنَ إسلامُه، كُتِبَت له كلُّ حَسَنةٍ كان عَمِلَها مِن قبْلُ، ومِصداقُ ذلك قولُه تعالى: ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِهِ هُمْ بِهِ يُؤْمِنُونَ(٥٢) وَإِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ قَالُوا آمَنَّا بِهِ إِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلِهِ مُسْلِمِينَ(٥٣) أُولَئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُمْ مَرَّتَيْنِ﴾ (القصص:٥٢-٥٤). **والثاني:** والعبدُ المَملوكُ إذا أدَّى حقَّ اللهِ، فقام بعِبادةِ اللهِ تعالَى، وأدَّى ما يجِبُ عليه؛ مِن صَلاةٍ وصِيامٍ وغيرِ ذلك، وأدَّى أيضًا ما يُكلِّفُه به سيِّدُه على أحسَنِ وَجْهٍ، فله أجْرانِ أيضًا: أجْرُ عِبادتِه للهِ تعالَى، وأجْرُ طاعتِه لسَيِّدِه، وتَحمُّلِه مَضَضِ العُبوديَّةِ، والإذعانِ لحُقوقِ الرِّقِّ. **والثالثُ:** رجُلٌ كانت عنده جاريةٌ مَملوكةٌ، وكان يُجامِعُها بحقِّ مِلكيَّتِه لها، فأدَّبَها مِن غَيرِ عُنفٍ وضَرْبٍ، بلْ بالرِّفقِ واللُّطفِ، وربَّاها تَربيةً صالحةً، وعلَّمها أركانَ دِينِها وأحكامَ شَريعتِها"، ثمَّ أعْتَقَها فتزَوَّجها، وأعطاها حُقوقَ الحُرَّةِ، فله أجْرانِ: أجرٌ على تَعليمِها وعِتْقِها، وأجرٌ على نِكاحِه لها، ومَن فَعَلَ هذا فهو مُفارِقٌ للكِبرِ، آخِذٌ بحظٍّ وافرٍ مِن التَّواضعِ، وتارِكٌ للمُباهاةِ بنِكاحِ ذاتِ شَرَفٍ ومَنصبٍ.

(الدرر السنية)

أخرج البخاري من حديث أبي موسى الأشعري ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: " المَمْلُوكُ الذي يُحْسِنُ عِبادَةَ رَبِّهِ، ويُؤَدِّي إلى سَيِّدِهِ الذي له عليه مِنَ الحَقِّ، والنَّصِيحَةِ والطَّاعَةِ له أجْرانِ ".

أخرج البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: " لِلْعَبْدِ المَمْلُوكِ الصَّالِحِ أجْرانِ. والذي نَفْسِي بيَدِهِ، لَوْلا الجِهادُ في سَبيلِ اللَّهِ، والحَجُّ، وبِرُّ أُمِّي؛ لَأَحْبَبْتُ أنْ أمُوتَ وأنا مَمْلُوكٌ[١] ".

أخرج البخاري ومسلم من حديث ابن عمر –رضي الله عنهما– قال: قال رسول الله ﷺ: " إن العبدَ إذا نَصَحَ لسيدِه وأحسنَ عبادةَ اللهِ فله أجرُه مرتين ".

١ـ وقوله:" لَوْلا الجِهادُ في سَبيلِ اللَّهِ، والحَجُّ، وبِرُّ أُمِّي؛ لَأَحْبَبْتُ أنْ أمُوتَ وأنا مَمْلُوكٌ ": هذا من كلام إبي هريرة ﷺ.

٦- فضل من أعتق رقبة مسلمة

قال تعالى: ﴿فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ(١١) وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ(١٢) فَكُّ رَقَبَةٍ﴾ (البلد:١١-١٣)

قال السعدي-رحمه الله-: ﴿فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ﴾ أي: لم يقتحمها ويعبر عليها، لأنه متبع لشهواته. والاستفهام في قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَدْرَاكَ مَا العقبة﴾ لتفخيم شأنها، والتهويل من أمرها، والتشويق إلى معرفتها. والكلام على حذف مضاف، والتقدير: وما أدراك ما اقتحام العقبة؟ وهذه العقبة شديدة عليه، ثم فسر (هذه) العقبة ﴿فَكُّ رَقَبَةٍ﴾ أي: فكها من الرق، بعتقها أو مساعدتها على أداء كتابتها، ومن باب أولى فكاك الأسير المسلم عند الكفار. (تفسير السعدي والوسيط)

وقد جعل الله عتق القاب من أعمال البر والتقوى:

قال تعالى: ﴿لَّيْسَ الْبِرَّ[١] أَن تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ[٢] وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ[٣] وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ[٤] وَالضَّرَّاءِ[٥] وَحِينَ الْبَأْسِ[٦] أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾

(البقرة: ١٧٧)

ففي هذه الآية يبين رب العالمين أن الخير عند الله تعالى ليس في التوجه في الصلاة إلى جهة المشرق والمغرب إن لم يكن عن أمر الله وشرعه، وإنما الخير كل الخير هو إيمان من آمن بالله وصدَّق به معبودًا وحدَه لا شريك له، وآمن بيوم البعث والجزاء، وبالملائكة جميعًا، وبالكتب المنزلة كافة، وبجميع النبيين من غير تفريق، وأعطى المال تطوُّعًا - مع شدة حبه- ذوي القربى، واليتامى المحتاجين الذين مات آباؤهم وهم دون سن البلوغ، والمساكين الذين أرهقهم الفقر، والمسافرين المحتاجين الذين بَعُدوا عن أهلهم ومالهم، والسائلين الذين اضطروا إلى السؤال لشدة حاجتهم، وأنفق في تحرير الرقيق والأسرى، وأقام الصلاة، وأدى الزكاة المفروضة، والذين يوفون بالعهود، ومن صبر في حال فقره ومرضه، وفي شدة القتال. أولئك المتصفون بهذه الصفات هم الذين صدقوا في إيمانهم، وأولئك هم الذين اتقَوا عقاب الله فتجنبوا معاصيه.

فقد أخرج البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: " أَيُّما رَجُلٍ أعْتَقَ امْرَأً مُسْلِمًا، اسْتَنْقَذَ اللَّهُ بكُلِّ عُضْوٍ منه عُضْوًا منه مِنَ النَّارِ ".

١- البِرّ: هو التوسّع في الطاعات وأعمال الخير.
٢- ابنَ السَّبيل: المسافر الّذي انقطع عن أهله.
٣- في الرِّقاب: في تحريرها من الرّق أو الأسر.
٤- البأساء: البؤس والفقر.
٥- والضَّرَّاء: والسّقم والألم.
٦- حين البأس: وقت قتال العدو.

والعِتقُ: هو التَّحريرُ مِن العُبوديَّةِ، وقد جعَلَ اللهُ هذا العِتقَ سَبَبًا في إنقاذِ المعتِقِ وتَخليصِه مِن النَّارِ بعْدَ استحقاقِه دُخولَها، وذلك بكلِّ عُضْوٍ مِن أعضاءِ جسَدِ المملوكِ، كيَدِه ورِجْلِه، وهكذا بقيَّةُ جَسَدِه، يُنقِذُ اللهُ به عُضوًا مِن جسدِ المُعتِقِ مِن عَذابِ النَّارِ.

وفي الصحيحين أيضًا من حديث أبي هريرة ﷺ قال: قال الرسول ﷺ:" مَن أعتَقَ رَقَبةً مُسلِمةً، أعتَقَ اللهُ بكُلِّ عَضوٍ منه عَضوًا مِن النَّارِ، حتَّى فَرْجَه بفَرْجِه ".

وأخرج الإمام أحمد والترمذي والنسائي واللفظ له وابن ماجه من حديث عمرو بن عبسة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:" من رمى بسَهمٍ في سبيلِ اللَّهِ فبلغَ العدوَّ أخطأَ أو أصابَ كانَ لَهُ كعِدلِ رقبةٍ ومن أعتقَ رقبةً مسلمةً كانَ فداءُ كلِّ عضوٍ منْهُ عضوًا منْهُ، من نارِ جَهنَّمَ، ومن شابَ شيبةً في سبيلِ اللَّهِ كانت لَهُ نورًا يومَ القيامةِ ". (صحيح النسائي: ٣١٤٥)

- *وفي رواية:*" ومن أعتق رقبةً مؤمنةً، كانت فداءه من النَّارِ عضوًا بعضوٍ ".(صحيح الجامع:٦٠٥٠)

وأخرج التِّرْمِذِيّ من حَدِيث أَبِي أُمَامَةَ الباهلي ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:" أَيُّمَا امْرِئٍ مُسْلِمٍ أَعْتَقَ امْرَأً مُسْلِمًا كَانَ فِكَاكَهُ مِنَ النَّارِ، يُجْزِئُ كُلُّ عُضْوٍ مِنْهُ عُضْوًا مِنْهُ، وَأَيُّمَا امْرِئٍ مُسْلِمٍ أَعْتَقَ امْرَأَتَيْنِ مُسْلِمَتَيْنِ كَانَتَا فِكَاكَهُ مِنَ النَّارِ، يُجْزِئُ كُلُّ عُضْوٍ مِنْهُمَا عُضْوًا مِنْهُ مِنَ النَّارِ، وَأَيُّمَا امْرَأَةٍ مُسْلِمَةٍ أَعْتَقَتِ امْرَأَةً مُسْلِمَةً كَانَتْ فِكَاكَهَا مِنَ النَّارِ يُجْزِئُ كُلُّ عُضْوٍ مِنْهَا عُضْوًا مِنْهَا". (صحيح الجامع:٢٧٠٠)

وفي هذا الحَديثِ يقولُ النَّبيُّ ﷺ: "أيُّما امرِئٍ مُسلمٍ"، أي: كان حرًّا، "أعتَقَ امْرَأً مُسلمًا"، أي: كان مَملوكًا وحرَّره مِن العبوديَّةِ، "كان"، أي: كان جزاءُ ذلك الحُرِّ، "فَكاكَه مِن النَّارِ"، أي: كان خَلاصَه مِن النَّارِ يومَ القيامةِ،" يُجْزِي كلُّ عُضوٍ منه عضوًا منه"، أي: يُعتَقُ مِن أعضاءِ الحُرِّ يومَ القيامةِ بما يُقابله من أعضاءِ العَبدِ الَّذي أعتقَه في الدُّنيا، "وأيُّما امرِئٍ مُسلِمٍ أعتَقَ امرأَتَين مُسلِمتَين"، أي: وإنْ كان عِتقُه وتحريرُه لامرأَتين وكانتا مُسلِمتَين،" كانتا"، أي: كان جَزاؤُه في المرأتَين اللَّتَين أعتَقَهما يومَ القيامةِ أن يَكونَ العِتقُ "فَكاكَه مِن النَّارِ، يُجْزي كلُّ عضوٍ مِنهما عضوًا مِنه"، أي: يُعتَقُ مِن أعضاءِ الحُرِّ يومَ القيامةِ بما يُقابِلُه مِن مجموعِ أعضاءِ المرأتَين اللَّتَين أعتَقَهنَّ في الدُّنيا،" وأيُّما امرأةٍ مُسلِمةٍ"، أي: كانتْ حرَّةً،" أَعتقَت امرأةً مُسلِمةً"، أي: كانتْ مملوكةً وحرَّرَتها مِن العُبوديَّةِ،" كانتْ فكاكَها مِن النَّارِ، يُجْزِئُ كلُّ عُضوٍ منها عُضوًا منها"، أي: بمِثلِ ما يُجازَى الرَّجلُ الحرُّ تُجازى كذلك المرأةُ الحرَّةُ إنْ هم سَعَوا في عِتقِ غيرِهم مِن المسلِمين مِن العُبوديَّةِ. (الدرر السنية)

وقد ثبَت في الصَّحيحَين عن أبي هُريرَةَ ﷺ عن النَّبيِّ ﷺ، قال:" مَن أعتَقَ رَقَبةً مُسلِمةً، أعتَقَ اللهُ بكُلِّ عَضوٍ منه عَضوًا مِن النَّارِ، حتَّى فَرْجَه بفَرْجِه ".

وهذا كلُّه يدُلُّ على أنَّ عِتْقَ المماليكِ وتَحريرَ العَبيدِ والإماءِ، ذُكورًا وإناثًا مِن المنجِيَاتِ مِن النَّارِ.

وأخرج أبو داود وابن حبان من حديث أبي نُجيح السُّلَمِّي ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: " أيُّما رجُلٍ مسلِمٍ أعتقَ رجُلًا مُسلِمًا، فإنَّ اللَّهَ تعالى جاعِلٌ وِقاءَ كلِّ عظمٍ من عظامهِ عظمًا من عظامِ محرَّرِه منَ النّارِ، وأيُّما امرأةٍ أعتقتِ امرأةً مسلمةً فإنَّ اللَّه تعالى جاعلٌ وِقاءَ كلِّ عظمٍ مِن عظامِها عظمًا من عظامِ محرَّرَتِها مِنَ النَّارِ يومَ القيامةِ ". (صحيح الجامع:٢٧٢٦) (الصحيحة:١٧٥٦) (صحيح أبي داود: ٣٩٦٥)

وأخرج الإمام أحمد وابن حبان من حديث البراء ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:"جاء رَجُلٌ إلى رسولِ اللهِ ﷺ فقال: دُلَّني على عَمَلٍ يُقرِّبُني منَ الجَنَّةِ، ويُباعِدُني منَ النَّارِ، قال: لَئنْ كُنتَ أقصَرْتَ الخُطْبةَ، لقد أعرَضْتَ المَسْألةَ، أعْتِقِ النَّسَمةَ، وفُكَّ الرَّقَبةَ، قال: يا رسولَ اللهِ! أوَ لَيستا واحِدًا؟ فقال: لا، عِتقُ الرَّقَبةِ أنْ تَفرَّدَ بعِتْقِها، وفَكُّ الرَّقَبةِ أنْ تُعينَ في ثَمَنِها، والمِنْحةُ الوَكوفُ، والفَيءُ على ذي الرَّحِمِ الظَّالِمِ، فإنْ لم تُطِقْ، فكُفَّ لِسانَكَ إلَّا من خَيرٍ ". (قال شعيب الأرناؤوط: صحيح)

وأخرج الإمام مسلم من حديث أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:" مَنْ أَعْتَقَ رَقَبَةً مُؤْمِنَةً أَعْتَقَ اللَّهُ تَعَالَى بِكُلِّ إِرْبٍ مِنْهُ إِرْبًا مِنْهُ مِنَ النَّارِ".

وأخرج أبو يعلى وابن حبان من حديث أبي سعيد الخدري ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:" خَمْسٌ مَنْ عَمِلهُنَّ في يَوْمٍ كتبَهُ اللهُ من أهلِ الجنةِ، مَنْ عادَ مَرِيضًا، وشَهِدَ جَنازَةً، وصامَ يومًا، وراحَ يومَ الجمعةِ، وأعتقَ رَقَبَةً ". (صحيح الترغيب: ٦٨٦)

٧- فضل من شاب شيبة في الإسلام:

أخرج أَبو دَاوُد وَالتِّرمِذِيُّ من حديث ابن عمر-رضِي الله عنهما- قال: قال رسول الله ﷺ:" لَا تَنْتِفُوا الشَّيْبَ، فَإِنَّهُ مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَشِيبُ فِي الْإِسْلَامِ، إِلَّا كَانَتْ لَهُ نُورًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ[١] ".

(صحيح أبي داود: ٤٢٠٢) (صحيح الجامع:٧٤٦٣) (الصحيحة:١٢٤٣) (صحيح الترغيب والترهيب:٢٠٩١)

وأخرج الترمذي والنَّسَائِيُّ وَابْنُ مَاجَهْ من حديث ابن عمرو-رضِي الله عنهما-:" أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ نَهَى عَنْ نَتْفِ الشَّيْبِ وَقَالَ: إِنَّهُ نُورُ الْمُسْلِمِ ". (الصحيحة:١٢٤٣)

وَأخرج ابْنُ حِبَّانَ فِي صَحِيحِهِ من حديث أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:" لَا تَنْتِفُوا الشَّيْبَ فَإِنَّهُ نُورٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، مَنْ شَابَ شَيْبَةً كَتَبَ اللَّهُ لَهُ بِهَا حَسَنَةً، وَحطَّ عَنْهُ بِهَا خَطِيئَةً، وَرَفَعَ لَهُ بِهَا دَرَجَةً ".

(صحيح الترغيب: ٢٠٩٦)(الصحيحة:١٢٤٣)

١- له نُورًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ: أي سببًا للنُّورِ الَّذي يَحصُلُ له يومَ القيامةِ.

قال النووي -رحمه الله- في" المجموع:١/٣٤٤": " يُكْرَهُ نَتْفُ الشَّيْبِ، لِحَدِيثِ عَمْرِو بْنِ شُعَيْبٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: " لَا تَنْتِفُوا الشَّيْبَ، فَإِنَّهُ نُورُ الْمُسْلِمِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ". (رَوَاهُ أَبُو دَاوُد وَالتِّرْمِذِيُّ وَالنَّسَائِيُّ). هَكَذَا قَالَ أَصْحَابُنَا يُكْرَهُ، صَرَّحَ بِهِ الْغَزَالِيُّ وَالْبَغَوِيُّ وَآخَرُونَ، وَلَوْ قِيلَ: يَحْرُمُ لِلنَّهْيِ الصَّرِيحِ الصَّحِيحِ لَمْ يَبْعُدْ، وَلَا فَرْقَ بَيْنَ نَتْفِهِ مِنْ اللِّحْيَةِ وَالرَّأْسِ ". اهـ

وأخرج الترمذي عن كَعْبُ بْنَ مُرَّةَ ﷺ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: " مَنْ شَابَ شَيْبَةً فِي الْإِسْلَامِ كَانَتْ لَهُ نُورًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ ". (الصحيحة:١٢٤٤) (صحيح الجامع:٦٣٠٧)

أخرج أَبُو دَاوُد من حديث ابن عمرو -رضِي الله عنهما- قال: قال رسول الله ﷺ: " مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَشِيبُ شيبةً فِي الْإِسْلَامِ، إلَّا كَتَبَ اللَّهُ لَهُ بِهَا حَسَنَةً، وَحَطَّ عَنْهُ بِهَا خَطِيئَةً ". (صحيح الجامع:٥٧٦٠)

وَأَخْرَجَ النَّسَائِيُّ وَالتِّرْمِذِيُّ عَنْ عُمَرَ بْنِ عَبَسَةَ ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: " مَنْ شَابَ شَيْبَةً فِي سَبِيلِ اللَّهِ، كَانَتْ لَهُ نُورًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ ". (صحيح الجامع:٦٣٠٨)

وَأَخْرَجَ الْبَزَّارُ وَالطَّبَرَانِيُّ فِي الْكَبِيرِ وَالْأَوْسَطِ والبيهقي في "شعب الإيمان" عَنْ فَضَالَةَ بْنِ عُبَيْدٍ ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: " مَنْ شَابَ شَيْبَةً فِي الْإِسْلَامِ كَانَتْ لَهُ نُورًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ عِنْدَ ذَلِك فَإِنَّ رِجَالًا يَنْتِفُونَ الشَّيْبَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: مَنْ شَاءَ فَلْيَنْتِفْ نُورَهُ ". (الصحيحة :١٢٤٤)

وأخرج البيهقي من حديث ابن عمرو -رضِي الله عنهما- قال: قال رسول الله ﷺ: " الشَّيْبُ نُورُ المؤمن، لا يشيب رجلٌ شَيْبَةً في الإسلام إلا كانت له بكل شيبةٍ حَسَنَةً، وَرُفِعَ لَهُ بِهَا دَرَجَةً ".

(صحيح الترغيب: ٢٠٩٦)(الصحيحة:١٢٤٣) (صحيح الجامع:٣٧٤٨)

وأخرج الإمام مسلم عَنْ أَنَسٍ ﷺ قال: " كَانَ يَكْرَهُ أَنْ يَنْتِفَ الرَّجُلُ الشَّعْرَةَ الْبَيْضَاءَ مِنْ رَأْسِهِ وَلِحْيَتِهِ(١) ".

وأخرج أبو داود من حديث أبي موسى الأشعري ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: "إنَّ من إجلالِ اللَّهِ(٢) إكْرامَ(٣) ذي الشَّيبةِ المسلِمِ(٤)، وحاملِ القرآنِ غيرِ الغالي فيهِ والجافي عنهُ(٥)، وإكْرامَ ذي السُّلطانِ المقسِطِ(٦) ". (صحيح أبي داود: ٤٨٤٣) (صحيح الجامع:٢١٩٩)

١- تنبيه: حَدِيثُ أَنَسٍ ﷺ مَرْفُوعًا عِنْدَ الدَّيْلَمِيِّ وفيه:" أَيُّمَا مُسْلِمٍ نَتَفَ شَعْرَةً بَيْضَاءَ مُتَعَمِّدًا صَارَتْ رُمْحًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ يُطْعَنُ بِهِ ". (غيْرُ ثَابِتٍ)
٢- إنَّ مِنْ إجلالِ اللهِ: أي إنَّ مِن تَبْجيلِ اللهِ وتعظيمِه وأداءِ حَقِّه.
٣- إكرامَ: أي تعظيمَ وتوقيرَ.
٤- ذي الشَّيْبَةِ المسلمِ: أي الشَّيخِ الكَبيرِ في السِّنِّ.
٥- وحاملِ القرآنِ غيرِ الغالي فيه والجافي عنه: أي الحافظِ لكتابِ اللهِ عزَّ وجلَّ، العاملِ بأحكامِه دونَ مُغالاةٍ وتكلُّفٍ فيه- كمنَ يَتجاوزُ الحدَّ في العَمَلِ به ويَتتبَّع مُتشابِهَه، ويُبالِغُ في إخراجِ حُروفِه حتَّى يُخرِجَها عن قالَبِها- ودُونَ إعراضٍ عنه، وإهمالٍ وهجْرٍ له، بالبُعد عن مُعاودةِ تِلاوتِه والعَمَلِ بما فيه، وأشار بهذا إلى أنَّ القَصْدَ هو المأمورُ به؛ فالغلُوُّ مِن صِفاتِ النَّصارى، والجفاءُ مِن صِفاتِ اليهودِ.
٦- وإكرامَ ذي السُّلطانِ المُقْسِطِ: أي وكذلك إنَّ مِن تعظيمِ اللهِ وتَوقيرِه إكرامَ الإمامِ العادلِ الَّذي يقومُ بين النَّاسِ بالحَقِّ والعَدْلِ.

٨- فضل من رجى اللّه وأحسن الظن به:

قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللَّهِ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ (سورة البقرة: ٢١٨)

وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَّن تَبُورَ(٢٩) لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ﴾ (فاطر: ٢٩، ٣٠)

وقال تعالى: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ (الزمر: ٩)

وأخرج الترمذي واللفظ له وأحمد من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **قالَ اللَّهُ تعالى: "يا ابنَ آدمَ إنَّكَ ما دعوتَني ورجوتَني غفَرتُ لَكَ على ما كانَ فيكَ ولا أبالي، يا ابنَ آدمَ لو بلغت ذنوبُكَ عَنانَ السَّماءِ ثمَّ استغفرتَني غفرتُ لَكَ، ولا أبالي، يا ابنَ آدمَ إنَّكَ لو أتيتَني بقرابِ الأرضِ خطايا ثمَّ لقيتَني لا تشرِكُ بي شيئًا لأتيتُكَ بقرابِها مغفرةً ".** (صحيح الترمذي: ٣٥٤٠)

وقوله سبحانه: "**إنَّكَ ما دعوْتَني ورجوْتَني**"، أي: ما دمْتَ تدْعوني وتَرْجو رَحْمتي، ولمْ تَقْنَطْ" **غفَرْتُ لك**"، أي: محَوتُ ذنبَك أيُّها العبْدُ الدَّاعي الرَّاجي لربِّه،" **على ما كانَ فيكَ**" مِنَ الذُّنوبِ والمعاصِي،" **ولا أُبالي**"، أي: ولا أهتَمُّ بهذه الذُّنوبِ والمعاصِي وإنْ كانَت منَ الكبائرِ وفي عدَمِ مُبالاتِه معنى قولِه: ﴿**لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ**﴾ (الأنبياء: ٢٣)، يا ابنَ آدمَ" **لو بلغَتْ**"، أي: وصلَتْ، "**ذنوبُك**" الَّتي ارتكبتَها وفعَلتَها،" **عَنانَ السَّماءِ**"، أي: السَّحابَ، أو بمَعنى صَفائحِ السَّماءِ وما اعترَض مِن أقطارِها، ولعلَّه المرادُ مِن الحديثِ؛ إذ رُوي:" **أعنانَ السَّماءِ**" أي: وصلَتِ الذُّنوبُ إلى السَّماءِ الَّتي تَراها،" **ثمَّ**" بعدَ ذلك،" **استَغفرتَني**" أي: طلَبتَ المغفرةَ منِّي، "**غَفَرتُ لك**" هذه الذُّنوبَ والمعاصِيَ،" **ولا أُبالي**" بهذه الذُّنوبِ والمعاصي وإنْ كانتْ مِن الكبائرِ، والمعنى: أنَّه لو كَثُرت ذُنوبُك كثرةً تَملأُ ما بينَ السَّماءِ والأرضِ بحيث تَبلُغُ أقطارَها وتَعُمَّ نَواحِيَها، ثمَّ استَغفَرتَني، غَفَرتُ لك جميعَها غيرَ مُبالٍ بكَثرتِها؛ فإنَّ استِدْعاءَ الاستغفارِ للمغفرةِ يَستوي فيه القليلُ والكثيرُ، والجليلُ والحقيرُ." **يا ابنَ آدمَ، إنَّك لو أتيتَني**"، أي: بعدَ الموتِ،" **بقُرابِ**"، أي: بمِلْءِ الأرضِ، "**خَطايا**"، أي: ذُنوبًا ومَعاصِيَ، "**ثمَّ لَقيتَني**"، أي: بعدَ الموتِ مُوحِّدًا "**لا تُشرِكُ بي شيئًا**"، لا في الرُّبوبيَّةِ، ولا في الألوهيَّةِ، ولا في الأسماءِ والصِّفاتِ،" **لأَتيتُك**"، أي: قابَلْتُ هذه الذُّنوبَ والْمعاصِيَ،" **بقُرابِها**"، أي: بمِلْئِها،" **مَغفِرةً**"؛ لأنَّني واسِعُ المغفرةِ، وأغفِرُ كلَّ شيءٍ دونَ الشِّركِ؛ كما قال سبْحانَه: ﴿**إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ**﴾ (سورة النساء: ٤٨). (الدرر السنية)

وأخرج ابن حبان والطبراني في" المعجم الأوسط" من حديث أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: " خرج ثلاثةٌ فيمن كان قبلكم يرتادون لأهلِيهم، فأصباتْهمُ السماءُ، فلجأوا إلى جبلٍ، فوقعت عليهم صخرةٌ. فقال بعضُهم لبعضٍ: عفا الأثَرُ، ووقع الحجَرُ، ولا يعلَم بمكانكم إلا اللهُ؛ فادْعوا الله بأوثَقِ أعمالِكم. فقال أحدُهم: اللهم إن كنتَ تعلمُ أنه كانت لي امرأةٌ تُعجِبُني، فطلبتُها فأبَتْ عليَّ، فجعلْتُ لها جُعْلًا، فلما قرَّبَتْ نفسَها؛ تركتُها. فإن كنتَ تعلمُ أني إنما فعلتُ ذلك رجاءَ رحمتِك، وخشيةَ عذابِك فافرِجْ عنا، فزال ثلثُ الحجَرِ. وقال الآخرُ: اللهم إن كنت تعلمُ أنه كان لي والدانِ، وكنتُ أحلبُ لهما في إنائِهما، فإذا أتيتُهما وهما نائمانِ قمتُ حتى يستيقظا، فإذا استيقظا شربا، فإن كنتَ تعلمُ أني فعلتُ ذلك رجاءَ رحمتِك، وخشيةَ عذابِك فافرُجْ عنا، فزال ثلثُ الحجَرِ. وقال الثالثُ: اللهم إن كنت تعلم أني استأجَرتُ أجيرًا يومًا فعمل لي نصفَ النَّهارِ، فأعطيتُه أجرًا، فتسخَّطه ولم يأخذْه، فوفَّرتُها عليه، حتى صار من كل المالِ، ثم جاء يطلب أجرَه، فقلتُ: خذ هذا كلَّه، ولو شئتُ لم أُعطِه إلا أجرَه الأوَّلَ، فإن كنتَ تعلمُ أني فعلتُ ذلك رجاءَ رحمتِك، وخشيةَ عذابِك، فافرُجْ عنا. فزال الحجَرُ، وخرجوا يتماشَونَ ".

(صحيح الترغيب والترهيب: ٢٤٩٨)

وأخرج الترمذي وابن ماجه من حديث أنس بن مالك ﷺ قال: أنَّ النَّبيَّ ﷺ دخلَ على شابٍّ وَهوَ في الموتِ فقالَ كيفَ تجدُكَ قالَ واللَّهِ يا رسولَ اللَّهِ إنِّي أرجو اللَّهَ وإنِّي أخافُ ذنوبي فقالَ رسولُ اللَّهِ ﷺ لا يجتَمِعانِ في قلبِ عبدٍ في مثلِ هذا الموطِنِ إلَّا أعطاهُ اللَّهُ ما يرجو وآمنَهُ ممَّا يخافُ ".

(صحيح الترمذي: ٩٨٣)

وأخرج ابن حبان من حديث حَيَّانَ أبي النضر قال:" خرَجْتُ عائدًا ليزيدَ بنِ الأسودِ فلقِيتُ واثِلةَ بنَ الأسقعِ وهو يُريدُ عيادَتَه، فدخَلْنا عليه، فلمَّا رأى واثِلةَ بسَط يدَه وجعَل يُشيرُ إليه، فأقبَل واثِلةُ حتَّى جلَس، فأخَذ يزيدُ بكفَّيْ واثِلةَ فجعَلهما على وجهِه، فقال له واثِلةُ: كيف ظنُّك باللهِ؟ قال: ظنِّي باللهِ واللهِ حسَنٌ قال واثلةُ: فأبشِرْ فإنِّي سمِعْتُ رسولَ اللهِ ﷺ: يقولُ:" قال اللهُ ﷻ: أنا عندَ ظنِّ عبدي بي، إنْ ظنَّ خيرًا فلَهُ، وإنْ ظنَّ شرًّا فلَهُ ". (قال الألباني في الصحيحة:١٦٦٣: سنده صحيح) (صحيح الجامع:٤٣١٥)

- *وأخرجه الطبراني في "الأوسط" بلفظ:*" أنا عند ظن عبدي بي، إن خيرًا فخير، وإن شرًّا فشرٌّ".

(صحيح الجامع:١٩٠٥)

قال ابن الجوزي-رحمه الله- وقوله تعالى:" أنا عند حُسن ظن عبدي بي" أي: في الرجاء وأمل العفو".

- *وفي رواية:*" أنا عند ظنّ عبدي بي فليظنّ بي ما شاء ". (رواه أحمد والطبراني)

قال ابن القيم -رحمه الله- كما في الجواب الكافي ص:٣٦:" يعنى ما كان في ظنّه فإني فاعله به ".

قال النووي-رحمه الله-: " ومعنى يحسن الظن بالله تعالى: أن يظن أن الله تعالي يرحمه، ويرجو ذلك، ويتدبر الآيات والأحاديث الواردة في كرم الله سبحانه وتعالى، وعفوه ورحمته، وما وعد به أهل التوحيد، وما ينشره من الرحمة لهم يوم القيامة، كما قال سبحانه وتعالى في الحديث الصحيح أنا عند ظن عبدي بي ". اهـ

أ- حسن الظنّ بالله تعالى هو عبادة وقربة إلى الله تعالى:

فقد أخرج الإمام أحمد وأبو داود من حديث أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال: **" إنَّ حسن الظنّ من حسن العبادة ".**

قال عليُّ القاري-رحمه الله-: " المعنى أن حسن الظنّ به تعالى من جملة العبادات الحسنة ".

(المرقاة:٨/٧٧٩)

ب- حسن الظن في الله من أسباب الوقاية من عذابه، وسبيل لدخول جنته:

فقد أخرج الإمام أحمد أن النبي ﷺ قال: **" يبعث الله تعالى رجلًا من أُمَّتِي يوم القيامة، فيوزن فيخف ميزانه، فيُؤمَر به إلى النار، فلما انصرف به الملائكة إلى النار؛ صار يلتفت، فقال الله: رُدُّوه، فلما عاد، قال الله ﷻ: عبدي هل ظلمتك حفظتي؟ قال: لا والله يا رب، قال: عبدي ألك حسنة لم تجدها هنا؟ قال: لا والله يا رب، قال: عبدي أرأيت سيئة لم تعملها، قال: لا والله يا رب، قال: عبدي فما بالك تتلفت، قال: ما كان هذا ظني فيك يا رب، فقال الله ﷻ: أدخلوه الجَنَّة ".**

- ***وأخرج الإمام مسلم من حديث أنس بن مالك ﷺ عن رسول الله ﷺ قال:*** **" يخرج من النار أربعةٌ يُعْرَضون على الله ﷻ فيأمر بهم إلى النار، فيلتفت أحدهم، فيقول: أي رب!! قد كنت أرجو إن أخرجتني منها ألا تعيدني فيها، فيقول رب العزة: فلا نعيدك فيها ".**

- ***وفي رواية ابن حبان:*** **" فيلتفت فيقول: يا رب ما كان هذا رجائي فيك، فيقول: ما كان رجاؤك؟ قال: كان رجائي إذ أخرجتني منها ألا تعيدني فيها، فيرحمه الله؛ فيدخله الجَنَّة ".**

- **فاجعل أخي الحبيب حسن الظن بالله خصوصًا عند موتك شعارك ودثارك وقوِ به رجاءك.**

لأن الشيطان يأتيه ويجعله يسخط على الله، أو يخوفه فيما هو قادم عليه، فلا يحب لقاء الله، فحسن الظن بالله أقوي سلاح يدفع به هذا العدو الطريد اللعين.

يقول عبد الله بن مسعود ﷺ: **" ليغفرن الله ﷻ يوم القيامة مغفرة لم تخطر على قلب بشر".**

وقال عطاء بن السائب-رحمه الله-: " دخلنا على أبي عبد الرحمن نعوده؛ فذهب بعض القوم يرجِّيه، فقال: إني لأرجو ربي؛ وقد صمت له ثمانين رمضان ". (الثبات عند الممات ص:٧٠)

ومرض أعرابي فقيل له: إنك تموت، فقال: أين يُذْهَب بي؟ قالوا: إلى الله، فقال: وما كراهيتي أن أذهب إلى مَن لا يُرى الخير إلا منه"

وقال سهل القطعي: " رأيت مالك بن دينار -رحمه الله- في منامي، فقلت: يا أبا يحيى ليت شعري ماذا قدمت به على الله ﷻ؟ قال: قدمت بذنوب كثيرة فمحاها عني حسن الظن بالله".

(حسن الظن بالله لابن أبي الدنيا ص:٩٦)

- جاء في كتاب حسن الظن بالله لابن أبي الدنيا ص:٩٢ عن عبد الله بن المبارك -رحمه الله- قال: جئت إلى سفيان عشية عرفة وهو جاثٍ على ركبتيه وعيناه تهملان فبكيت: فالتفت إليّ، فقال: ما شأنك؟ فقلت: من أسوأ هذا الجمع حالًا؟ قال: الذي يظن أن الله ﷻ لا يغفر لهم ".

وللعلامة ابن القيم - رحمه الله - كلام قيّم حول إساءة الظنّ بالله ووجوب التوبة منه، إليك طرفًا منه.

قال-رحمه الله-: " أكثر الخلق، بل كلهم- إلا من شاء الله- يظنون بالله غير الحق ظنّ السوء، فإن غالب بني آدم يعتقد أنه مبخوس الحق، ناقص الحظ وأنه يستحق فوق ما أعطاه الله، ***ولسان حاله يقول:*** ظلمني ربي، ومنعني ما أستحقه، ونفسه تشهد عليه بذلك، وهو بلسانه ينكره ولا يتجاسر على التصريح به، ومن فتّش نفسه، وتغلغل في معرفة دفائنها وطواياها، رأي ذلك فيها كامنًا كمون النار في الزّناد، فاقدح زناد من شئت ينبئك شراره عما في زناده، ولو فتشت من فتشته، لرأيت عنده تعتبًا على القدر وملامة له، واقتراحًا عليه خلاف ما جرى به، وأنه كان ينبغي أن يكون كذا وكذا، فمستقل ومستكثر، وفتش نفسك هل أنت سالم من ذلك.

فليعتن اللبيب الناصح لنفسه بهذا الموضع، وليتب إلى الله تعالى وليستغفره كلّ وقت من ظنه بربه ظن السوء، وليظنَّ السوء بنفسه التي هي مأوى كل سوء، ومنبع كل شر، المركبة على الجهل والظلم، فهي أولى بظن السّوء من أحكم الحاكمين، وأعدل العادلين، وأرحم الراحمين، الغني الحميد، الذي له الغنى التام، والحمد التام، والحكمة التامة، المنزه عن كل سوء في ذاته وصفاته، وأفعاله وأسمائه، فذاته لها الكمال المطلق من كل وجه، وصفاته كذلك، وأفعاله كذلك، كلها حكمة ومصلحة، ورحمة وعدل، وأسماؤه كلها حسنى.

فلا تَظْنُنْ بربّك ظن سوءٍ — فإن الله أولى بالجميل
ولا تظنن نفسك قطّ خيرًا — وكيف بظالمٍ جانٍ جهول
وقل يا نفس مأوى كل سوءٍ — أيُرجى الخير من ميتٍ بخيل
وظنّ بنفسك السّوء تجدها — كذاك وخيرها كالمستحيل
وما بك من تقى فيها وخيرٍ — فتلك مواهب الرّب الجليل
وليس بها ولا منها ولكن — من الرحمن فاشكر للدّليل

اهـ. (زاد المعاد:٣/٢٣٥)

وقال محمد بن الراشد: " رأيت عبد الله بن المبارك في النوم بعد موته، فقلت: أليس قد متَّ؟ قال: بلي، قلت: ما فعل الله بك؟ قال: غفر لي مغفرة أطاحت بكل ذنب، قلت: فسفيان الثوري؟ قال: بخ... بخ، ذاك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقًا ".

(العاقبة لعبد الحق الإشبيلي:١٣١)

وفي كتاب "أهوال القبور" لابن رجب الحنبلي، وكذلك في كتاب "المحتضرين" لابن أبي الدنيا عن أبي غالب صاحب أبي أمامة: " أن فتي بالشام حضره الموت، فقال لعمه: أرأيت لو أن الله دفعني إلى والدتي ما كانت تصنع بي؟ قال: إذا والله تدخلك الجَنَّة، فقال: والله. للهُ أرحم بي من والدتي، فقُبض الفتى، فخرج عليه عبد الله بن مروان، قال: فدخلت القبر مع عمِّه، فخطُّوا له خطًّا ولم يلحدوا، قال: فقلنا: باللبن (الطوب الغير محروق) فسوينا عليه؛ فسقطت منه لبنة فوثب عمَّه فتأخر، قلت: وما شأنك؟ قال: مُلِئ قبره نورًا وفسح له مد البصر".

وأختم بمقولة لأبي حازم الأعرج -رحمه الله- حيث قال محمد بن مطرف بن داود عنه: " دخلنا على أبي حازم الأعرج لما حضره الموت، فقلنا: يا أبا حازم، كيف تجدك؟ قال: أجدني بخير، أجدني راجيًا الله، حَسَنُ الظن به، ثم قال: إنه والله ما يستوي من غدا وراح يعْمُر عقد الآخرة لنفسه فيقدمها أمامه قبل أن ينزل به الموت، حتى يقدم عليها فيقوم لها وتقوم له، ومَن غدا وراح في عقد الدنيا يَعْمُرها لغيره ويرجع إلى الآخرة لا حظ له فيها ولا نصيب ". **(حلية الأولياء:٣/٢٤١) (قصر الأمل ص:١١٠).**

وقال بعض الشعراء:

إذا ابتليت فثق بالله وارض به	إن الذي يكشف البلـوى هو الله
إذا قضـى الله فاستسلم لقدرته	ما لمرئ حيلـة فيمـا قضـى الله
اليأس يقطع أحيانًا بصاحبه	لا تيـأسن فـإن الصـانـع الله

(أدب الدنيا والدين ص:٤٦٩)

وحق على العبد أن يظن بربه خيرًا، وأن ينتظر منه فضلًا، وأن يرجو من مولاه لطفًا، فإن من أمره في كلمةٌ "كُن"، جديرٌ أن يوثق بموعوده، وأن يتعلق بعهوده، فلا يجلب النفع إلا هو، ولا يدفع الضرّ إلا هو، وله في كل نفس لطفٌ، وفي كل حركة حكمةٌ، وفي كل ساعة فرجٌ، جعل بعد الليل صبحًا، وبعد القحط غيثًا، يُعطي ليُشكر، ويَبتلي ليعلم من صبر، يمنح النعماء ليسمع الثناء، يُسلِّط البلاء ليُرفع إليه الدعاء، فحريٌّ بالعبد أن يقوي معه الاتصال، ويمد إليه الحبال، ويكثر السؤال، **قال تعالى:** ﴿وَاسْأَلُواْ اللّهَ مِن فَضْلِهِ﴾ (النساء:٣٢) **وقال تعالى:** ﴿ادْعُواْ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً﴾ (الأعراف:٥٥) **(لا تحزن ص:٣٤٥ بتصرف)**

٩- فضل الخوف من الله وخشيته:

قَالَ ابْنُ الْجَوْزِيِّ -رحمه الله- فِي تَبْصِرَتِهِ: " وفِي قَوْله تَعَالَى: ﴿ وَخَافُونِ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾: الْخَوْفُ وَاجِبٌ عَلَى كُلِّ مُؤْمِنٍ، وَهُوَ وَاقِعٌ بِأَسْبَابٍ. فَمِنْهَا الْخَوْفُ بِسَابِقِ الذَّنْبِ، وَمِنْهَا حَذَرُ التَّقْصِيرِ فِي الْوَاجِبَاتِ، وَمِنْهَا الْخَوْفُ مِنَ السَّابِقَةِ أَنْ تَكُونَ عَلَى مَا يُكْرَهُ، وَمِنْهَا خَوْفُ الْإِجْلَالِ وَالتَّعْظِيمِ **كَمَا قَالَ تَعَالَى** ﴿ يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾ (سورة النحل:٥٠) وَمَنْ تَفَكَّرَ فِيمَا عَلَيْهِ فِي السَّابِقِ لَمْ يَزَلْ مُنْزَعِجًا خَائِفًا خَوْفًا لَا يَمْلِكُ رَدَّهُ، وَاعْلَمْ أَنَّ الْخَوْفَ إِذَا أَفْرَطَ قَتَلَ، وَالْمَحْمُودُ مِنْهُ الْمُتَوَسِّطُ وَهُوَ الَّذِي يَقْمَعُ الشَّهَوَاتِ، وَيُكَدِّرُ اللَّذَّاتِ، وَيَكُفُّ الْجَوَارِحَ عَنْ الْمَعَاصِي وَيُلْزِمُهَا الطَّاعَةَ. وَقَدْ يَنْحُلُ الْبَدَنَ، وَيُذْهِبُ الْوَسَنَ، وَيَزِيدُ بِهِ الْبُكَاءُ، وَلِذَلِكَ قِيلَ: لَيْسَ الْخَائِفُ مَنْ بَكَى وَعَصَرَ عَيْنَيْهِ، وَإِنَّمَا الْخَائِفُ مَنْ تَرَكَ مَا يُعَذَّبُ عَلَيْهِ ". اهـ

والآيات والأحاديث التي تحث على الخوف وتظهر فضله كثيرة، ومنه:

قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ(٢) الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ(٣) أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُمْ دَرَجَاتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴾ (الأنفال: ٢)

قال السعدي -رحمه الله- في تفسيره: " وقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾: أي خافت ورهبت، فأوجبت لهم خشية اللّه تعالى الانكفاف عن المحارم، فإن خوف اللّه تعالى أكبر علاماته أن يحجز صاحبه عن الذنوب. ﴿وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا﴾ ووجه ذلك أنهم يلقون له السمع ويحضرون قلوبهم لتدبره فعند ذلك يزيد إيمانهم، لأن التدبر من أعمال القلوب، ولأنه لا بد أن يبين لهم معنى كانوا يجهلونه، أو يتذكرون ما كانوا نسوه، أو يحدث في قلوبهم رغبة في الخير، واشتياقا إلى كرامة ربهم، أو وجلا من العقوبات، وازدجارًا عن المعاصي، وكل هذا مما يزداد به الإيمان.

﴿وَعَلَى رَبِّهِمْ﴾ وحده لا شريك له ﴿يَتَوَكَّلُونَ﴾: أي يعتمدون في قلوبهم على ربهم في جلب مصالحهم ودفع مضارهم الدينية والدنيوية، ويثقون بأن اللّه تعالى سيفعل ذلك. والتوكل هو الحامل للأعمال كلها، فلا توجد ولا تكمل إلا به.

وقال تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ(٥٧) وَالَّذِينَ هُم بِآيَاتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ(٥٨) وَالَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ(٥٩) وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوا وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ(٦٠) أُولَٰئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ ﴾

(سورة المؤمنون:٥٧-٦١)

وقال تعالى: ﴿ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ (٣٧) لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ (سورة النور:٣٧،٣٨)

وقال تعالى: ﴿ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَ اللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ ﴾ (سورة النور:٥٢)

قال السعدي-رحمه الله- في تفسيره: " وقوله تعالى: ﴿وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ فيصدق خبرهما ويمتثل أمرهما، ﴿وَيَخْشَ اللَّهَ﴾ أي: يخافه خوفا مقرونا بمعرفة، فيترك ما نهى عنه، ويكف نفسه عما تهوى، ولهذا قال: ﴿وَيَتَّقْهِ﴾ بترك المحظور، لأن التقوى-عند الإطلاق- يدخل فيها، فعل المأمور، وترك المنهي عنه، وعند اقترانها بالبر أو الطاعة - كما في هذا الموضع - تفسر بتوقي عذاب الله، بترك معاصيه، ﴿فَأُولَئِكَ﴾ الذين جمعوا بين طاعة الله وطاعة رسوله، وخشية الله وتقواه، ﴿هُمُ الْفَائِزُونَ﴾ بنجاتهم من العذاب، لتركهم أسبابه، ووصولهم إلى الثواب، لفعلهم أسبابه، فالفوز محصور فيهم، وأما من لم يتصف بوصفهم، فإنه يفوته من الفوز بحسب ما قصر عنه من هذه الأوصاف الحميدة ".

وقال تعالى: ﴿ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ (١٦) فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ (سورة السجدة: ١٦،١٧)

قال السعدي-رحمه الله- في تفسيره: " وقوله تعالى: ﴿تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ﴾ أي: ترتفع جنوبهم، وتنزعج عن مضاجعها اللذيذة، إلى ما هو ألذ عندهم منه وأحب إليهم، وهو الصلاة في الليل، ومناجاة اللّه تعالى. ولهذا قال: ﴿يَدْعُونَ رَبَّهُمْ﴾ أي: في جلب مصالحهم الدينية والدنيوية، ودفع مضارهما. ﴿خَوْفًا وَطَمَعًا﴾ أي: جامعين بين الوصفين، خوفًا أن ترد أعمالهم، وطمعًا في قبولها، خوفًا من عذاب اللّه، وطمعًا في ثوابه. ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ﴾ من الرزق، قليلًا كان أو كثيرًا ﴿يُنْفِقُونَ﴾ ولم يذكر قيد النفقة، ولا المنفق عليه، ليدل على العموم، فإنه يدخل فيه، النفقة الواجبة، كالزكوات، والكفارات، ونفقة الزوجات والأقارب، والنفقة المستحبة في وجوه الخير، والنفقة والإحسان المالي، خير مطلقًا، سواء وافق غنيًا أو فقيرًا، قريبًا أو بعيدًا، ولكن الأجر يتفاوت، بتفاوت النفع، فهذا عملهم.

وقال تعالى: ﴿ إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴾ (سورة الأحزاب: ٣٥)

وقال تعالى: ﴿وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ (٣١) هَذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ (٣٢) مَنْ خَشِيَ الرَّحْمَنَ بِالْغَيْبِ وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُنِيبٍ (٣٣) ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ ذَلِكَ يَوْمُ الْخُلُودِ (٣٤) لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ﴾ (سورة ق: ٣١-٣٥)

قال السعدي–رحمه الله– في تفسيره: " وقوله تعالى: ﴿مَنْ خَشِيَ الرَّحْمَنَ﴾ أي: خافه على وجه المعرفة بربه، والرجاء لرحمته ولازم على خشية الله في حال غيبه– أي: مغيبه عن أعين الناس، وهذه هي الخشية الحقيقية، وأما خشيته في حال نظر الناس وحضورهم، فقد تكون رياء وسمعة، فلا تدل على الخشية، وإنما الخشية النافعة، خشية الله في الغيب والشهادة...".

وقال تعالى: ﴿قَالُوا إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ (٢٦) فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَانَا عَذَابَ السَّمُومِ﴾ (سورة الطور: ٢٦، ٢٧)

قال السعدي–رحمه الله– في تفسيره: " وقوله تعالى: ﴿قَالُوا﴾ في ذكر بيان الذي أوصلهم إلى ما هم فيه من الحبرة والسرور: ﴿إِنَّا كُنَّا قَبْلُ﴾ أي: في دار الدنيا ﴿فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ﴾ أي: خائفين وجلين، فتركنا من خوفه الذنوب، وأصلحنا لذلك العيوب. ﴿فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا﴾ بالهداية والتوفيق، ﴿وَوَقَانَا عَذَابَ السَّمُومِ﴾ أي: العذاب الحار الشديد حره ".

وقال تعالى: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ﴾ (سورة الرحمن: ٤٦)

قال السعدي–رحمه الله– في تفسيره: " أي: وقوله تعالى: وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ) وللذي خاف ربه وقيامه عليه، فترك ما نهى عنه، وفعل ما أمره به، له جنتان من ذهب آنيتهما وحليتهما وبنيانهما وما فيهما، إحدى الجنتين جزاء على ترك المنهيات، والأخرى على فعل الطاعات.

وقال تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى (٤٠) فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى﴾ (سورة النازعات: ٤٠، ٤١)

قال السعدي–رحمه الله– في تفسيره: " وقوله تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ﴾ أي: خاف القيام عليه ومجازاته بالعدل، فأثر هذا الخوف في قلبه فنهى نفسه عن هواها الذي يقيدها عن طاعة الله، وصار هواه تبعا لما جاء به الرسول، وجاهد الهوى والشهوة الصادين عن الخير، ﴿فَإِنَّ الْجَنَّةَ﴾ (المشتملة على كل خير وسرور ونعيم) ﴿هِيَ الْمَأْوَى﴾ لمن هذا وصفه.

أحبتي في الله... مما لا شك فيه أن الخوف سبيل لتحصيل الخيرات، والمبادرة لفعل الطاعات.

يدلك على هذا الحديث الذي أخرجه التِّرْمِذِيُّ وَحَسَّنَهُ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: " مَنْ خَافَ أَدْلَجَ[١]، وَمَنْ أَدْلَجَ بَلَغَ الْمَنْزِلَ [٢]، أَلَا إِنَّ سِلْعَةَ اللَّهِ غَالِيَةٌ، أَلَا إِنَّ سِلْعَةَ اللَّهِ الْجَنَّةُ ".

(صحيح الجامع: ٦٢٢٢) (صحيح الترمذي: ٢٤٥٠)

١- قَوْلُهُ أَدْلَجَ: بِسُكُونِ الدَّالِ الْمُهْمَلَةِ، أَيْ إِذَا سَارَ مِنْ أَوَّلِ اللَّيْلِ.
٢- ومن أدلج بلغ المنزل: أي من خاف الله تعالى أتى منه كل خير، ومن أمنه اجترأ على كل شر.

وَمَعْنَى الْحَدِيثِ: أَنَّ مَنْ خَافَ؛ أَلْزَمَهُ الْخَوْفُ السُّلُوكَ إِلَى الْآخِرَةِ، وَالْمُبَادَرَةَ بِالْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ، خَوْفًا مِنْ الْقَوَاطِعِ وَالْعَوَائِقِ. فالمراد بالحديث هو التشمير عن الطاعة. وهذا الحديث من باب الكناية؛ والمعنى: أن من خاف الله تعالى أدلج: أي سبق غيره إلى منازل الأبرار بالجد في العبادة.

قال المناوي-رحمه الله-: " هذا مثل ضربه النبي ﷺ لسالك الآخرة، فإن الشيطان على طريقه وأعوانه، والنفس، وأمانيه الكاذبة، فإن تيقظ في سيره وأخلص في عمله أمن الشيطان، وقطاع الطريق ".

أ- الخوف من النار يدفع إلى العمل الصالح والإخلاص فيه:

قال تعالى: ﴿إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا(٩) إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا(١٠) فَوَقَاهُمُ اللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا(١١) وَجَزَاهُم بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا ﴾(سورة الإنسان:٩-١٢)

قال السعدي-رحمه الله- في تفسيره: " وقوله ﴿إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا﴾أي نخاف يومًا طويلًا شديدًا هوله، عظيمًا أمره، تعبس فيه الوجوه من شدة ما ترى. ﴿قَمْطَرِيرًا﴾ أي: ضنكا ضيقا، ﴿فَوَقَاهُمُ اللَّهُ شَرَّ ذَلِكَ الْيَوْمِ﴾ فلا يحزنهم الفزع الأكبر، وتتلقاهم الملائكة (هذا يومكم الذي كنتم توعدون). ﴿وَلَقَّاهُمْ﴾ أي: أكرمهم وأعطاهم ﴿نَضْرَةً﴾ في وجوههم ﴿وَسُرُورًا﴾ في قلوبهم، فجمع لهم بين نعيم الظاهر والباطن. ﴿وَجَزَاهُمْ بِمَا صَبَرُوا﴾ على طاعة الله، فعملوا ما أمكنهم منها، وعن معاصي الله، فتركوها، وعلى أقدار الله المؤلمة، فلم يتسخطوها، ﴿جَنَّةً﴾ جامعة لكل نعيم، سالمة من كل مكدر ومنغص، ﴿وَحَرِيرًا﴾ كما قال تعالى: ﴿وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ﴾ ولعل الله إنما خص الحرير، لأنه لباسهم الظاهر، الدال على حال صاحبه ". اهـ بتصرف

ب- الخوف سبب للبعد عن المعاصي:

قال تعالى: ﴿قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ(١٥)مَّن يُصْرَفْ عَنْهُ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمَهُ وَذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْمُبِينُ﴾ (الأنعام:١٥،١٦)

فالخوف المحمود يحرق الشهوات المحرمة؛ فتصير المعاصي المحبوبة عنده مكروهة، كما يصير العسل مكروهًا عند مَن يشتهيه إذا عرف أن فيه سُمًا، فتحرق الشهوات بالخوف، وتتأدب الجوارح، ويحصل في القلب الخضوع والذلة والاستكانة ويفارقه الكبر والحقد والحسد، بل يصير الإنسان الخائف مستوعب خطر عاقبته، فلا يتفرغ لغيره، ولا يكون له شغل إلا المراقبة والمحاسبة والمجاهدة، والضنة بالأنفاس واللحظات، ومؤاخذة النفس بالخطرات، والخطوات والكلمات، ويكون حالة حال مَن وقع في مخلب سبع ضار، لا يدري أنه يغفل عنه فيفلت، أو يهجم عليه فيهلك، فيكون بظاهره وباطنه مشغولًا بما هو خائف منه لا متسع فيه لغيره، فهذا حال من غلبه الخوف.

وأخرج البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **يقولُ اللَّهُ:" إذا أرادَ عَبْدِي أنْ يَعْمَلَ سَيِّئَةً، فلا تَكْتُبُوها عليه حتَّى يَعْمَلَها، فإنْ عَمِلَها فاكْتُبُوها بمِثْلِها، وإنْ تَرَكَها مِن أجْلِي فاكْتُبُوها له حَسَنَةً، وإذا أرادَ أنْ يَعْمَلَ حَسَنَةً فَلَمْ يَعْمَلْها فاكْتُبُوها له حَسَنَةً، فإنْ عَمِلَها فاكْتُبُوها له بعَشْرِ أمْثالِها إلى سَبْعِ مِئَةِ ضِعْفٍ ".**

وقوله تعالى:" وإن تَرَكَها من أجلي": أي خوفًا مني، فاكتُبوها له حَسنةً واحدةً غيرَ مُضاعَفةٍ، والمُرادُ من هذا: أنَّ التَّركَ للسَّيِّئةِ لا يُكتَبُ حَسَنةً إلَّا إذا كان خَوفًا منَ اللهِ تَعالَى، أو حَياءً منَ اللهِ تَعالَى، وأيُّهُما كان فذلك التَّركُ هو التَّوبةُ من ذلك الذَّنبِ، وإذا كان كذلك فالتَّوبةُ عِبادةٌ منَ العِباداتِ، إذا حَصَلَت بشُروطِها أذهَبَتِ السَّيِّئاتِ، وأعقَبَتِ الحَسَناتِ.

جـ- الخوف سبب لمغفرة الذنوب:

أخرج البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **" كَانَ رَجُلٌ يُسْرِفُ عَلَى نَفْسِهِ، لَمَّا حضَرَهُ الْمَوْتُ قَالَ لِبَنِيهِ إذَا أَنَا متّ فَأَحْرِقُونِي ثُمَّ اطْحَنُونِي ثُمَّ ذُرُّونِي فِي الرِّيحِ، وَاللَّهِ لَئِنْ قَدَرَ اللَّهُ عَلَيَّ لَيُعَذِّبَنِّي عذَابًا مَا عَذَّبَهُ أَحَدًا، فَلَمَّا مَاتَ فُعِلَ بِهِ ذَلِكَ، فَأَمَرَ اللَّهُ الْأَرْضَ فَقَالَ اجْمَعِي مَا فِيك فَفَعَلَتْ فَإِذَا هُوَ قَائِمٌ، فَقَالَ مَا حَمَلَك عَلَى مَا صَنَعْت؟ قَالَ خَشْيَتُك يَا رَبِّ أَوْ قَالَ مَخَافَتَك فَغَفَرَ لَهُ ".**

- *وَفِي رِوَايَةٍ فِي الصحيحين:* **" قَالَ رَجُلٌ لَمْ يَعْمَلْ حَسَنَةً قَطُّ لِأَهْلِهِ: إذَا أَنَا مِتُّ فَحَرِّقُوهُ ثُمَّ ذُرُّوهُ نِصْفَهُ فِي الْبِرِّ وَنِصْفَهُ فِي الْبَحْرِ، فَوَاَللَّهِ لَئِنْ قَدَرَ اللَّهُ عَلَيْهِ لِيُعَذِّبَهُ عَذَابًا لَا يُعَذِّبُهُ أَحَدًا مِنْ الْعَالَمِينَ. فَلَمَّا مَاتَ الرَّجُلُ فَعَلُوا بِهِ مَا أَمَرَهُمْ، فَأَمَرَ اللَّهُ الْبَرَّ فَجَمَعَ مَا فِيهِ، وَأَمَرَ الْبَحْرَ أَنْ يَجْمَعَ مَا فِيهِ، ثُمَّ قَالَ لِمَ فَعَلْت هَذَا؟ قَالَ مِنْ خَشْيَتِك يَا رَبِّ وَأَنْتَ أَعْلَمُ، فَغَفَرَ اللَّهُ تَعَالَى لَهُ ".**

أخرج البخاري ومسلم من حديث أَبِي سَعِيدٍ الخدري ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **" أَنَّ رَجُلًا كَانَ قَبْلَكُمْ رَغَسَهُ [1] اللَّهُ مَالًا، فَقَالَ لِبَنِيهِ لَمَّا حُضِرَ أَيَّ أَبٍ كُنْت لَكُمْ؟ قَالُوا خَيْرَ أَبٍ، قَالَ إنِّي لَمْ أَعْمَلْ خَيْرًا قَطُّ، فَإِذَا مِتّ فَأَحْرِقُونِي ثُمَّ اسْحَقُونِي ثُمَّ ذُرُّونِي فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ، فَفَعَلُوا، فَجَمَعَهُ اللَّهُ فَقَالَ مَا حَمَلَك؟ فَقَالَ مَخَافَتُك، فَتَلَقَّاهُ بِرَحْمَتِهِ ".**

أخرج البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **" سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمْ اللَّهُ فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لَا ظِلَّ إلَّا ظِلُّهُ، الْإِمَامُ الْعَادِلُ، وَشَابٌّ نَشَأَ فِي عِبَادَةِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَرَجُلٌ قَلْبُهُ مُعَلَّقٌ بِالْمَسَاجِدِ، وَرَجُلَانِ تَحَابَّا فِي اللَّهِ اجْتَمَعَا عَلَى ذَلِكَ وَتَفَرَّقَا عَلَيْهِ، وَرَجُلٌ دَعَتْهُ امْرَأَةٌ ذَاتُ مَنْصِبٍ وَجَمَالٍ فَقَالَ إنِّي أَخَافُ اللَّهَ، وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ فَأَخْفَاهَا حَتَّى لَا تَعْلَمَ شِمَالُهُ مَا تُنْفِقُ يَمِينُهُ، وَرَجُلٌ ذَكَرَ اللَّهَ خَالِيًا فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ ".**

---

١ ـ رَغَسَهُ: بِفَتْحِ الرَّاءِ وَالْغَيْنِ الْمُعْجَمَةِ بَعْدَهُمَا شِينٌ مُعْجَمَةٌ. وضبطت السين بدلا من الشين، فيقال: رَغَسَهُ. وعليه الأكثر.

د- الخوف سبيل للانتفاع بكلام الله:

قال تعالى: ﴿فَذَكِّرْ بِالْقُرْآنِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ﴾ (سورة ق:٤٥)

هـ- الخوف سبب الوقاية من عذاب الله:

قال تعالى: ﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءلُونَ(٢٥)قَالُوا إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ(٢٦) فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَانَا عَذَابَ السَّمُومِ(٢٧) إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلُ نَدْعُوهُ إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ﴾ (الطور:٢٥-٢٨)

و- الخوف سبب للنجاة من النار:

وأخرج الْبَيْهَقِيُّ وَالتِّرْمِذِيُّ من حديث أَنَسٍ ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: " يَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ:" أَخْرِجُوا مِنْ النَّارِ مَنْ ذَكَرَنِي يَوْمًا أَوْ خَافَنِي فِي مَقَامٍ ".

وأخرج الإمام مسلم من حديث أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: " لَوْ يَعْلَمُ الْمُؤْمِنُ مَا عِنْدَ اللَّهِ مِنْ الْعُقُوبَةِ مَا طَمِعَ بِجَنَّتِهِ أَحَدٌ، وَلَوْ يَعْلَمُ الْكَافِرُ مَا عِنْدَ اللَّهِ مِنْ الرَّحْمَةِ مَا قَنِطَ مِنْ رَحْمَتِهِ أَحَدٌ ".

أكثر دعاء النبي ﷺ:

وأخرج الإمام مسلم عنْ عَبْدِ العزيزِ بْنِ صُهَيبٍ قال: سَأَلَ قَتَادَةُ أَنَسًا: أَيُّ دَعْوَةٍ كانَ يَدْعُو بها النَّبيُّ ﷺ أَكْثَرَ؟ قالَ: كان أَكْثَرُ دَعْوَةٍ يَدْعُو بها يقولُ: اللَّهُمَّ آتِنَا في الدُّنْيَا حَسَنَةً، وفي الآخِرَةِ حَسَنَةً، وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ. قالَ: وَكانَ أَنَسٌ إذَا أَرَادَ أَنْ يَدْعُوَ بدَعْوَةٍ دَعَا بهَا، فَإِذَا أَرَادَ أَنْ يَدْعُوَ بدُعَاءٍ دَعَا بهَا فيه ".

"اللَّهمَّ آتِنا في الدُّنيا حسنةً، وفي الآخرةِ حسنةً"، وجاءت لَفظةُ حَسَنةٍ مُنكَّرةً لتَشمَلَ كلَّ خَيرٍ لا إثمَ فيه، فيَدخُلُ فيها كُلُّ ما يَحسُنُ وُقوعُه عِندَ العَبدِ؛ مِن رِزقٍ هَنيءٍ واسعٍ حَلالٍ، وزَوجةٍ صالحةٍ، ووَلَدٍ تقَرُّ به العَينُ، وراحةٍ، وعِلمٍ نافعٍ، وعَملٍ صالحٍ، ومَطعَمٍ ومَشرَبٍ، ومَلبَسٍ ومأْوًى، ونَحوِ ذلكَ مِنَ المطالبِ المَحبوبةِ والمُباحةِ. **وحسنَةُ الآخرَةِ هي:** السَّلامةُ مِنَ العُقوباتِ في القَبرِ والموقِفِ والنَّارِ، وحُصولُ رِضا اللهِ، والفوزُ بالنَّعيمِ المُقيمِ في الجَنَّة، والقُربُ مِنَ اللهِ الرَّحمنِ الرَّحيمِ.

قولُه:" وقِنا عذابَ النَّار"، أي: ونَجِّنا واحمِنا من عذابِ النَّار، وَما يُقرِّبُ إليها مِن شَهوةٍ وعَملٍ في الدنيا، وهذا مِن جَوامعِ الدُّعاءِ النَّبويِّ، الَّذي يَنْبغي على كلِّ مُسلمٍ تعلُّمه والدُّعاءُ به؛ فقدْ جمَع خيرَيِ الدُّنيا والآخرةِ؛ ولذلك كان أنسٌ إذا أراد أنْ يَدْعوَ بدعوةٍ واحدةٍ دعا بها، فإذا أرادَ أنْ يدعوَ بدعاء كثيرٍ ومُتعدِّد، جَعَلها مِن جُملَةِ ما يَدْعو به.

وبالجملة: مَن خاف الله في الدنيا وأشفق من عذابه أَمَّنه الله تعالى يوم القيامة.

فقد أخرج ابْنُ حِبَّانَ فِي صَحِيحِهِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ فِيمَا يَرْوِي عَنْ رَبِّهِ جَلَّ وَعَلَا أَنَّهُ قَالَ:" وَعِزَّتِي وَجَلَالِي لَا أَجْمَعُ عَلَى عَبْدِي خَوْفَيْنِ وَأَمْنَيْنِ، إذَا خَافَنِي فِي الدُّنْيَا أَمَّنْتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَإِذَا أَمِنَنِي فِي الدُّنْيَا أَخَفْتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ". (صحيح الجامع: ٤٣٣٢)

١٠- فضل البكاء من خشية الله:

قال تعالى: ﴿ وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ(٨٣) وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا جَاءَنَا مِنَ الْحَقِّ وَنَطْمَعُ أَن يُدْخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ الْقَوْمِ الصَّالِحِينَ(٨٤) فَأَثَابَهُمُ اللَّهُ بِمَا قَالُوا جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَٰلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ ﴾ (المائدة: ٨٣-٨٥)

وقال تعالى: ﴿ قُلْ آمِنُوا بِهِ أَوْ لَا تُؤْمِنُوا إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِن قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا(١٠٧) وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَا إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا(١٠٨) وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا ﴾ (سورة الإسراء: ١٠٧-١٠٩)

وقال تعالى: ﴿ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ مِن ذُرِّيَّةِ آدَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْرَائِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَاجْتَبَيْنَا إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَٰنِ خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا ﴾ (سورة مريم: ٥٨)

رُوي عن عمر بن الخطاب ﷺ أنه قرأ هذه الآية فسجد وقال: " هذا السجود، فأين البكي؟".

يريد البكاء. و(البكي) جمع باك.

وقال تعالى: ﴿ أَفَمِنْ هَٰذَا الْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ(٥٩) وَتَضْحَكُونَ وَلَا تَبْكُونَ ﴾ (سورة النجم: ٥٩،٦٠)

أخرج البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: " سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمْ اللَّهُ فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ، الْإِمَامُ الْعَادِلُ، وَشَابٌّ نَشَأَ فِي عِبَادَةِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَرَجُلٌ قَلْبُهُ مُعَلَّقٌ بِالْمَسَاجِدِ، وَرَجُلَانِ تَحَابَّا فِي اللَّهِ اجْتَمَعَا عَلَى ذَلِكَ وَتَفَرَّقَا عَلَيْهِ، وَرَجُلٌ دَعَتْهُ امْرَأَةٌ ذَاتُ مَنْصِبٍ وَجَمَالٍ فَقَالَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ، وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ فَأَخْفَاهَا حَتَّى لَا تَعْلَمَ شِمَالُهُ مَا تُنْفِقُ يَمِينُهُ، وَرَجُلٌ ذَكَرَ اللَّهَ خَالِيًا فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ ".

قال الحافظ ابن حجر-رحمه الله-: " وقوله ﷺ: " ذَكَرَ اللَّهَ" أي: بقلبه، من التذكر. أو: بلسانه، من الذكر. "خَالِيًا" من الخلو، أي: في موضع خالٍ، لأنه يكون حينئذ أبعد من الرياء..... وقوله:" فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ" أي فاضت الدموع من عينيه... قال القرطبي: وفيض العين بحسب حال الذاكر، وبحسب ما يُكشف له، ففي حال أوصاف الجلال، يكون البكاء من خشية الله، وفي حال أوصاف الجمال، يكون البكاء من الشوق إليه. قلت: قد خُص في بعض الروايات بالأول؛ ففي رواية حماد بن زيد عند الجوزقي" ففاضت عيناه من خشية الله"، ونحوه في رواية البيهقي. ويشهد له ما رواه الحاكم من حديث أنس مرفوعا:" من ذكر الله ففاضت عيناه من خشية الله حتى يصيب الأرض من دموعه: لم يعذب يوم القيامة ". (ضعيف). ". اهـ

(فتح الباري:٢/ ١٤٧)

وأخرج الترمذي من حديث أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **" لَا يَلِجُ النَّارَ رَجُلٌ بَكَى مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ حَتَّى يَعُودَ اللَّبَنُ فِي الضَّرْعِ، وَلَا يَجْتَمِعُ غُبَارٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَدُخَانُ جَهَنَّمَ ".** (صحيح الجامع:٧٧٧٨)

يقولُ الرَّسولُ ﷺ في هذا الحديثِ: "لا يَلِجُ النَّارَ"، أي: لا يَدخُلُ النَّارَ، **"رجلٌ بكَى مِن خشْيةِ اللهِ"**، أي: إنَّ الخوْفَ مِن اللهِ هو الَّذي يجعَلُ صاحبَه مُطيعًا له مُجتنِبًا لِمَعصيتِه، ثمَّ ضرَب مثلًا في استِحالَةِ دخُولِه النَّارَ كما يستحِيلُ أنْ يَرجِعَ اللَّبَنُ إلى ضرعِ الحَيَوانِ بعدَ إذْ حُلِبَ منه، فقال: **"حتَّى يعودَ اللَّبنُ في الضَّرْعِ"**؛ والمعنى: أنَّ رُجوعَ اللَّبنِ إلى الضَّرعِ لا يَحدُثُ، وكذلك لا يَدخُلُ النَّارَ مَن بكَى مِن خشْيةِ اللهِ، **وهذا كقولِه تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُجْرِمِينَ﴾** (سورة الأعراف:٤٠).

"ولا يَجتمِعُ غُبارٌ في سَبيلِ اللهِ"، والغُبارُ هو ما يَنتُجُ ويُثارُ مِن تُرابٍ دَقيقٍ عندَ الحرَكةِ أثْناءَ الجِهادِ **"ودُخَانُ جهنَّمَ"**، أي: لا يجتمِعُ على المجاهِدِ الغُبارُ الَّذي حدَث له في المعرَكةِ وهي في سَبيلِ اللهِ، ودُخانُ جهنَّمَ، ولكنْ يرحَمُه اللهُ، فلا يدخُلُ جهنَّمَ بسَببِ جِهادِه وما فيه من تَعبٍ ومَشقَّةٍ وتعريضٍ للنَّفْسِ للأَخطارِ والمَوتِ.

وأخرج الترمذي والبيهقي في" شعب الإيمان" من حديث عبد الله بن عباس –رضي الله عنهما– قال: قال رسول الله ﷺ: **" عَينانِ لا تمسُّهما النَّارُ: عينٌ بَكَت من خشيةِ اللَّهِ، وعَينٌ باتت تحرُسُ في سبيلِ اللَّهِ ".** (صحيح الترمذي: ١٦٣٩) (صحيح الجامع:٤١١٢)

– وفي رواية عند أبي يعلى من حديث أنس بن مالك ﷺ عن رسول الله ﷺ: **" عَيْنَانِ لا تَمَسُّهُمَا النَّارُ أَبَدًا: عَيْنٌ بَكَتْ مِنْ خَشْيَةِ الله، وعَيْنٌ بَاتَتْ تحرس فِي سَبِيلِ الله، ".** (صحيح الجامع:٤١١٣)

في هذا الحَديثِ يقولُ النَّبيُّ ﷺ: **"عَينانِ لا تمَسُّهما النَّارُ"**، أي: نَوعانِ مِن النَّاسِ لا يَدخُلون النَّارَ، وعبَّرَ بالعينِ إشارةً إلى أنَّ غيرَها مِن أعضاءِ الجسَدِ أولى مِن ألَّا تُعذَّبَ بالنَّارِ؛ وخَصَّها هنا بالذِّكرِ لأنَّ العمَلَ الظَّاهِرَ يَصدُرُ عنها: **"عينٌ بكَتْ مِن خشيةِ اللهِ"**، أي: الَّذي يَبْكي خَوفًا ورَجاءً للهِ عزَّ وجلَّ عندَ توبةٍ أو ذِكرٍ أو طاعةٍ، وهذه رحمةٌ عامَّةٌ لكلِّ مَن اتَّصَف بهذه الصِّفةِ مِن المسلمين، وإن كان الأَوْلى بها العلماءَ؛ لأنَّ اللهَ يَقولُ: **﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾** (سورة فاطر: ٢٨)، **"وعينٌ باتَت تَحرُسُ في سبيلِ اللهِ"**، أي: الَّذي يُجاهِدُ في سبيلِ اللهِ، وبالأخَصِّ الَّذي بات على ثغورِ المسلِمين يَحرُسُها مِن الأعداءِ؛ طلَبًا للأجرِ والثَّوابِ مِن اللهِ عزَّ وجلَّ، وهذه مَرتَبةُ المُجاهِدين في العبادةِ وهي تَشمَلُ الحجَّ وطلَبَ العلمِ والجهادَ في سبيلِ اللهِ بالحربِ، وغيرَ ذلك مِن العباداتِ والمجاهَداتِ للنَّفسِ.

وأخرج الطبراني في" المعجم الأوسط " من حديث أنس بن مالك ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **" عينانِ لا تريانِ النَّارَ: عينٌ بكت وجَلًا من خشيةِ اللهِ، وعينٌ باتت تكلأُ في سبيلِ اللهِ ".** (صحيح الجامع: ٤١١١)

وأخرج أبو يعلى في" مسنده" والطبراني في" المعجم الكبير" من حديث معاوية بن حيدة القشيري ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **" ثلاثةٌ لا ترى أعينُهم النارَ: عينٌ حرستْ في سبيلِ اللهِ، وعينٌ بكتْ من خشيةِ اللهِ، وعينٌ كفتْ عن محارمِ اللهِ ".** (الصحيحة:٢٦٧٣).

وأخرج الترمذي من حديث عقبة بن عامر ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **" حُرِّمَتِ النَّارُ عَلَى ثَلَاثَةِ أَعْيُنَ عَيْنٍ بَكَتْ مِنْ خَشْيَةِ اللهِ وَعَيْنٍ غَضَّتْ عَنْ مَحَارِمِ اللهِ وَعَيْنٍ سَهِرَتْ فِي سَبِيلِ اللهِ قلتُ: يا رسولَ اللَّهِ ما النَّجاةُ؟ قال: أمسِكْ عليْكَ لسانَكَ، وليسعْكَ بيتُكَ، وابْكِ على خطيئتِكَ ".** (صحيح الترمذي: ٢٤٠٦)

وأخرج الطبراني في" المعجم الأوسط " من حديث ثوبان ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **" طُوبى لمن ملَك لسانَه، ووسِعَه بيتُه، وبكى على خطيئتِه ".** (صحيح الترغيب: ٢٧٤٠) (صحيح الجامع :٣٩٢٩)

وأخرج الترمذي والطبراني من حديث أبي أمامة الباهلي ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **" ليسَ شيءٌ أحبَّ إلى اللَّهِ من قَطرتينِ، وأثَرينِ: قطرةُ دموعٍ من خشيةِ اللَّهِ، وقطرةُ دمٍ تُهَراقُ في سبيلِ اللَّهِ، وأمَّا الأثرانِ فأثرٌ في سبيلِ اللَّهِ، وأثرٌ في فريضةٍ من فرائضِ اللَّهِ ".**(صحيح الترمذي: ١٦٦٩)

فالله عز وجل خلق البحار والمحيطات والأنهار ولكنه يحب ويرضى منك هذه القطرة التي تنزل من عينيك والتي تكون سبب في نجاتك من النار، ودخولك الجنة.

وفي هذا الحَديثِ يَقولُ النَّبيُّ ﷺ:" **ليس شيءٌ أحبَّ إلى اللهِ**"، أي: ليس هناك شيءٌ أفضلَ وأعظمَ في الأجرِ عندَ اللهِ عزَّ وجلَّ" **مِن قَطرَتَينِ**"، أي: نوعَينِ مِن القَطَراتِ، والقَطْرةُ: هي النُّقطةُ مِن الشَّيءِ السَّائلِ؛ كأَنْ يَكونَ ماءً أو دمًا أو لبَنًا وهكَذا، "**وأثَرَينِ**"، أي: نوعَينِ مِن الأثَرِ، والأثَرُ: هو ما يَبْقى بعدَ العمَلِ، "**قَطْرةُ دُموعٍ مِن خشيةِ اللهِ**"، أي: ما يَكونُ مِن بكاءٍ خوفًا مِن اللهِ تعالى وطمَعًا في رحمتِه ومغفرتِه، "**وقطرةُ دمٍ تُهَراقُ في سَبيلِ اللهِ**"، أي: ما يُسالُ في أرضِ المعركةِ مِن دماءٍ جِهادًا في سبيلِ اللهِ عزَّ وجلَّ؛ حيث يَبيعُ المرءُ نفسَه للهِ عزَّ وجلَّ، فتَهونُ عليه نفسُه، ويَسيلُ دمُه في نُصرَةِ دينِ اللهِ عزَّ وجلَّ." **وأمَّا الأثَرانِ**"، أي: وأمَّا أحبُّ الأعمالِ إلى اللهِ عزَّ وجلَّ الَّتي تَنتَهي ويَبْقى أثَرُها:" **فأثَرٌ في سبيلِ اللهِ**"، أي: بقاءُ أثَرٍ بعدَ خُروجٍ في سبيلِ اللهِ تعالى؛ كأَنْ يكونَ جُرحٌ عظيمٌ خلَّفَه بعدَ المعركةِ، أو عاهةٌ تُلازِمُه طولَ عُمرِه، أو قُطِعَ عُضوٌ مِن أعضائِه.. وهكذا،" **وأثَرٌ في فريضةٍ مِن فَرائضِ اللهِ**"، أي: أثَرٌ يَبْقى بعدَ أداءِ فريضةٍ مِن فرائضِ اللهِ عزَّ وجلَّ؛ كأَنْ يَكونَ أثَرَ المشيِ في أداءِ الصَّلَواتِ، أو تعَبَ الجِسمِ وضَعْفَ البدَنِ في الصِّيامِ، أو تعَبَ القدَمِ مِن طولِ الوقوفِ بينَ يدَيِ اللهِ تعالى.. وهكذا.

صور من بكاء النبي ﷺ:

أخرج البخاري من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قَالَ لي النَّبيُّ ﷺ: اقْرَأْ عَلَيَّ، قُلْتُ: آقْرَأُ عَلَيْكَ وعَلَيْكَ أُنْزِلَ؟ قالَ: فإنِّي أُحِبُّ أنْ أسْمَعَهُ مِن غَيرِي، فَقَرَأْتُ عليه سُورَةَ النِّسَاءِ، حتَّى بَلَغْتُ: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا﴾ (النساء:٤١)، قالَ: أمْسِكْ،- *وفي رواية:* حسبك[١]، فَإِذَا عَيْنَاهُ تَذْرِفَانِ ".

قيل: بكاؤه ﷺ على المُفرِّطين في حَقِّ اللهِ عزَّ وجلَّ، أو لِعظَمِ ما تضمَّنَتْه الآيةُ من هولِ المَطلَعِ وشِدَّةِ الأمرِ، أو هو بكاءُ فرحٍ لا بكاءُ جَزَعٍ؛ لأنَّه تعالَى جعل أمَّتَه شُهَداءَ على سائِرِ الأُمَمِ.

وأخرج الإمام أحمد وأبو داود والترمذي من حديث عبد الله بن الشخير رضي الله عنه قال: أتيتُ رسولَ اللَّه ﷺ وَهوَ يصلِّي ولجوفِهِ[٢]أزيزٌ[٣] كأزيزِ المرجَلِ[٤]منَ البُكاءِ ". (صحيح أبي داود: ٩٠٤)

بكاء الصحابة-رضي الله عنهم-.

أخرج البخاري ومسلم من حديث أَنَسٍ رضي الله عنه قال:" خَطَبَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ خُطْبَةً مَا سَمِعْتُ مِثْلَهَا قَطُّ فَقَالَ لَوْ تَعْلَمُونَ مَا أَعْلَمُ لَضَحِكْتُمْ قَلِيلًا وَلَبَكَيْتُمْ كَثِيرًا. فَغَطَّى أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وُجُوهَهُمْ لَهُمْ خَنِينٌ "، وَفِي رِوَايَةٍ" بَلَغَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَنْ أَصْحَابِهِ شَيْءٌ فَخَطَبَ فَقَالَ عُرِضَتْ عَلَيَّ الْجَنَّةُ وَالنَّارُ فَلَمْ أَرَ كَالْيَوْمِ فِي الْخَيْرِ وَالشَّرِّ، وَلَوْ تَعْلَمُونَ مَا أَعْلَمُ لَضَحِكْتُمْ قَلِيلًا وَلَبَكَيْتُمْ كَثِيرًا. فَمَا أَتَى عَلَى أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَوْمٌ أَشَدَّ مِنْهُ غَطَّوْا رُءُوسَهُمْ وَلَهُمْ خَنِينٌ"، قَوْلُهُ وَلَهُمْ خَنِينٌ هُوَ بِفَتْحِ الْخَاءِ الْمُعْجَمَةِ بَعْدَهَا نُونٌ الْبُكَاءُ مَعَ غُنَّةٍ بِاسْتِنْشَاقِ الصَّوْتِ مِنْ الْأَنْفِ ".

وأخرج أبو داود والترمذي وابن ماجه من حديث العرباض بن سارية رضي الله عنه قال:" وعَظَنَا رسولُ اللهِ ﷺ مَوْعِظَةً وجِلَتْ منها القلوبُ، وذَرَفَتْ منها العيونُ، قال: فقلْنَا: يا رسولَ اللهِ! كأنَّ هذه مَوْعِظَةُ مُودِّعٍ فماذا تَعْهَدُ إلينا؟ فقال: أُوصِيكُمْ بالسَّمْعِ والطَّاعَةِ، فإنه مَنْ يَعِشْ منكم بعدي فسيَرَى اختلافًا كثيرًا، فعليكم بسُنَّتِي، وسُنَّةِ الخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ المَهْدِيِّينَ مِنْ بَعْدِي، تَمَسَّكُوا بها، وعَضُّوا عليها بالنَّوَاجِذِ، وإيَّاكُم ومُحْدَثَاتِ الأُمُورِ؛ فإِنَّ كلَّ بدعةٍ ضلالةٌ ". (صحيح أبي داود: ٤٦٠٧)

وأخرج الإمام مسلم من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قَالَ أَبُو بَكْرٍ رضي الله عنه بَعْدَ وَفَاةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ لِعُمَرَ: انْطَلِقْ بنَا إلى أُمِّ أَيْمَنَ نَزُورُهَا كما كانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَزُورُهَا، فَلَمَّا انْتَهَيْنَا إِلَيْهَا بَكَتْ، فَقالَا لَهَا: ما يُبْكِيكِ؟ ما عِنْدَ اللهِ خَيْرٌ لِرَسُولِهِ ﷺ، فَقالَتْ: ما أَبْكِي أَنْ لا أَكُونَ أَعْلَمُ أنَّ ما عِنْدَ اللهِ خَيْرٌ لِرَسُولِهِ ﷺ، وَلَكِنْ أَبْكِي أنَّ الوَحْيَ قَدِ انْقَطَعَ مِنَ السَّمَاءِ، فَهَيَّجَتْهُما علَى البُكَاءِ، فَجَعَلَا يَبْكِيَانِ معهَا ".

١- حسبك: أي يكفيك ذلك.
٢- جوفه: صدره.
٣- ازيز: صوت البكاء أو غليانه في الجوف.
٤- كأزيز المرجل: أي القِدر.

وأخرج البخاري من حديث عبد الله بن عمر- رَضِيَ اللَّهُ عنْهما- قال: " لَمَّا اشْتَدَّ برَسولِ اللَّهِ ﷺ وجَعُهُ قيلَ له في الصَّلَاةِ، فقَالَ: مُرُوا أبَا بَكْرٍ فَلْيُصَلِّ بالنَّاسِ قَالَتْ عَائِشَةُ: إنَّ أبَا بَكْرٍ رَجُلٌ رَقِيقٌ، إذَا قَرَأَ غَلَبَهُ البُكَاءُ، قَالَ: مُرُوهُ فيُصَلِّي فَعَاوَدَتْهُ، قَالَ: مُرُوهُ فيُصَلِّي، إنَّكُنَّ صَوَاحِبُ يُوسُفَ ".

أخرج البخاري ومسلم من حديث أنس بن مالك ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ لِأُبَيٍّ: إنَّ اللَّهَ أَمَرَنِي أَنْ أَقْرَأَ عَلَيْكَ القُرْآنَ، قالَ أُبَيٌّ: آللَّهُ سَمَّانِي لَكَ؟ قالَ: اللَّهُ سَمَّاكَ لي. فَجَعَلَ أُبَيٌّ يَبْكِي، قالَ قَتَادَةُ: فَأُنْبِئْتُ أنَّهُ قَرَأَ عليه: ﴿ لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ ﴾.

أخرج البخاري عن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف قال: " أنَّ عَبْدَ الرَّحْمَنِ بنَ عَوْفٍ ﷺ، أُتِيَ بطَعَامٍ وكانَ صَائِمًا، فَقالَ: قُتِلَ مُصْعَبُ بنُ عُمَيْرٍ وهو خَيْرٌ مِنِّي، كُفِّنَ في بُرْدَةٍ، إنْ غُطِّيَ رَأْسُهُ، بَدَتْ رِجْلَاهُ، وإنْ غُطِّيَ رِجْلَاهُ بَدَا رَأْسُهُ - وأُرَاهُ قالَ: وقُتِلَ حَمْزَةُ وهو خَيْرٌ مِنِّي - ثُمَّ بُسِطَ لَنَا مِنَ الدُّنْيَا ما بُسِطَ - أَوْ قالَ: أُعْطِينَا مِنَ الدُّنْيَا ما أُعْطِينَا - وقدْ خَشِينَا أَنْ تَكُونَ حَسَنَاتُنَا عُجِّلَتْ لَنَا، ثُمَّ جَعَلَ يَبْكِي حتَّى تَرَكَ الطَّعَامَ ".

وبعد...

فهذا آخر ما تيسَّر جمعه في هذه الرسالة.

وأسأل الله– تعالى– أن يكتب لها القبول، وأن يتقبَّلها منّي بقبول حسن، كما أسأله سبحانه وتعالى أن ينفع بها مؤلفها وقارئها، ومَن أعان على إخراجها ونشرها......إنه ولي ذلك والقادر عليه.

هذا وما كان فيها من صواب فمن الله وحده، وما كان من سهو أو خطأ أو نسيان فمنِّي ومن الشيطان، والله ورسوله منه براء، وهذا شأن أي عمل بشري فإنه يعتريه الخطأ والصواب، فإن كان صوابًا فادعُ لي بالقبول والتوفيق، وإن كان ثم خطأ فاستغفر لي:

وإن وجدت العيب فسد الخللا   جلّ من لا عيب فيه وعلا

فاللهم اجعل عملي كله صالحًا ولوجهك خالصًا، ولا تجعل لأحد فيه نصيبًا

والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلّى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

هذا والله – تعالى– أعلى وأعلم.

سبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك